الباب الثامن عشر

ما قيل فيها على طريق العموم والكلام على فصل الربيع

قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى تغمده الله برحمته أطيب الزمان الربيع ومن أحسن أزهاره الورد وزيارته زيارة ضيف فى ليل صيف، وقال بعض الحكماء من أراد أن ينظر إلى الجنة فلينظر إلى ديار مصر فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس. وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه توقوا أول البرد وتلقوا آخره، وانظروا إلى فعله فى الأشجار فإنه فى أوله يحرق وفى آخره يورق.

وقال بعض الحكماء هواء الربيع مورق فتلقوه وهواء الشتاء محرق فتوقوه فعله فى أجسادكم كفعله فى أشجاركم، وقال بقراط الحكيم من لم يبتهج بالربيع وأزهاره ولم يستمتع ببرد نسيمه فهو فاسد المزاج محتاج إلى العلاج وكان المأمون يقول أغلظ الناس طبعا من لم يكن فى زمن الربيع ذا صبوة، ولله در ابن المعتز حيث قال الأرض فى زمن الربيع عروس مختالة فى حلل الأزهار متوجة بأكاليل الأشجار متوشحة بمناطق الأنهار والجو خاطب لها، قد جعل يشير بمخصرة البرق، ويتكلم بلسان الرعد وينثر من القطر أبدع نثار.

وقال غيره وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط واستظللنا من شجره بأوفى رواق وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار فى غلائل نور إلى أن جرى ذهب الأصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق بفحمة الظلماء.

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله كتبها الملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع الغيث قد رقأ ووجه الأرض قد راق والغصون المنعطفة

قد أرسلت أهواء القلوب بالأوراق وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب بالأطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفكت أزراره من أجياد القضب أنامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه تأخذ البيعة على الأزهار بالتقديم.

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى يوم أنيق وغيم رقيق وروض إذا تسلسل ماؤه المطلق تهلل وجه الطليق وإذا نحرت السقاة فيه دماء الزقاق صارت أيامهم كلها أيام تشريق وإذا خلط من الشرب ثياب سروره غار من أرجه المسك الفتيق.

وقال على بن ظافر فى منزل قد انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق فى الماء فابتل. ووهت قواه حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه الطير قال الشيخ علاء الدين بن ظافر العسقلانى فى كتابه بدائع البداية اجتمعت أنا والقاضى الأعز يوما فقلت له أجز:

طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال:

وجاء مبلول الجناح بالمطر

وهذا من ألطف الارتجال.

وقال محيى الدين عبد الظاهر والأغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الأزهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها والمنثور قد نظمت قلائده ودبت ولائده والجوز قد جاوز السها بالتباشير والسرور قدكشفت عن سوقها فقالت لها تلك الغدران بهديرها أه صرح ممرد من قوارير والورشان وقد لاحظ جفنه الوسنان والورد وقدورد والبان وقد بان.

وحكى لى بعض اللطفاء: قال كنا بمجلس أنس فقال بعض الحاضرين

ورد الورد وبان البان، فقال آخر بديها ودنا الدن وحان الحان وهذا من ألطف ما يكون، ولبعضهم:

هذا زمن الربيع والكاسب فيه ... من نادمه الحبيب والكاس بفيه
والعين تصيب كل من نمس فيه ... والدهر يقول كل من نم سفيه

غيره:

هذا زمن الربيع قم وانتبه ... الراح تزيل كل ما أنت به

وقال سيف الدين سمنديار:

يا حبذا زهر ونهر فضلا ... بحلى صدور للنهى بورود
من لم يزر فضل الربيع وجعفرا ... ما دام يحيى فهو غير رشيد

وقال المعوج الشامى:

إن كان فى الصيف ريحان وفاكهة ... فالأرض مستوقد والجو تنور
وإن تكن فى الخريف الدوح مذهبة ... فإن زؤراقها بالريح منثور
وإن يكون فى الشتاء الغيم متصلا ... فالأرض عريانة والجو مقرور
ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا ... جاء الربيع أتك النور والنور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة ... والنبت فيروزج والماء بلور

وقال أبو نواس فيه:

قصر الليل حين طال النهار ... وأتانا بطيبه إير
فلوجه الربيع نشر ونور ... ولوجه الشتاء فيه اغبرار
وإذا أعين الغمام استهلت ... وتباكت تضاحك الأزهار

غيره:

إن فصل الربيع فصل مليح تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة فى الفضاء

قلت لا يخفى ما فى البيت الأول من الطباق بين ضحك الأرض وبكاء السماء، ولكن لو قال بدل نصفه الثانى نحن فى السعد منه كالأغنياء لكان أولى وأنسب لما بعده، وهو قوله ذهب حيث ما ذهبنا إلى آخره.

ابن الوكيل فى فصل الخريف:

ولما جلا وجه الخريف محاسنا وصفو ماء النهر إذ غرد القمرى
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه ونقط وجه الأرض بالذهب المصرى

وقال علاء الدين بن أيبك فيه:

أوراقنا فى الخريف تحكى على النهور المسلسلات
شبه دنانير صففوها على سيوف مسللات

وقال غيره:

لا تأمنن فصل الخريف فإنه مستعذب وهواؤه خطاف
يسرى من الأرواح فى أجسادها بلطافة ومن اللطيف يخاف

وقال آخر:

تأمل ترى أرض الخريف عليلة من الحزن حتى عادها وابل القطر
وعالجها فصل الربيع فعوفيت فنقطت الأزهار بالبيض والصفر

وقال غيره:

سألت الغصن لم تعرى شتاء وتبدو فى المصيف وأنت كاسى
فقال لى الربيع على قدوم خلعت على البشير به لباسى

حمديس الصقلى:

باكر إلى اللذات واركب لها سوابق اللهو ذوات المزاح
من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق العوادى من ثغور الأقاح

أبو جعفر بن طلحة وزير ابن هود سلطان الأندلس وكاتبه:

والشمس لا تشرب خمر الندى فى الأرض إلا بكؤوس الشقيق

ابن المعتز وقيل للشامى:

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها مخضرة واكتسى النور عاريها
فلسماء بكاء فى حدائقها وللرياض ابتسام فى نواحيها

ابن العلاء السرورى:

مرنا على الروض الذى قد تنسمت رباه وأرواح الأباريق تسفك
فلم نر شيئًا كان أعجب منظرا من الروض يجرى دمعه وهو يضحك

ابن طباطبا:

انظر إلى زهر الرياض كأنه وشى تنشره الأكف منمنم
والنور يهدى كالعقود تبددت والورد يخجل والأقاحى تبسم

ابن تميم:

لم لا أهيم إلى الرياض وطيبها ... وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر يلحظنى بثغر باسم ... والماء يلقانى بقلب صافى

محيى الدين بن قرناص وأجاد:

أظن نسيم الروض والزهر قد روى ... حديثا ففاحت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله ... ثغور لما قال النسيم ضواحك

ابن نباتة:

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم ... وبما عهدنا ن تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم ... حتى تبسم ضاحكا من قولها

بدر الدين يوسف الذهبى:

هلم يا صاح إلى روضة ... يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله ... وزهرها يضحك فى كمه

وأجاد ابن عمار:

يا ليلة بتنا بها ... فى ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الرياض ... وتحت أزيال النسيم

وتلطف ابن قرناص فيه:

مذ سعينا نبغى زيارة دوح ... قد حبانا باللطف والإكرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا ... أخرجتها لنا من الأكمام

شهاب الدين بن دمرداش:

أنظر إلى الأشجار تلق رؤسها شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها وغدا بأذيال الصبا متمسكا

موفق الدين الحكيم:

وأؤدع صدر الروض سرا أذعته لسان نسيم ضاع مسكا لناشق
وقد نثرت أيدى السما لآلئا نظمن حبابا فى كؤوس الشقائق

الوليد ابن جنان:

ودوحة أطربت منها حمائمها أفق السماء فلم يبرح ينقطها
تحكى الكمامة منها راحة قبضت يلقى السحاب لها درا فيبسطها

وقال ابن قرناص:

قد أتينا الرياض حين تجلت وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الأغصان

ابن إدريس اليمانى:

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة وما لهم غير النبات فراش
كأنهم والزهر يسقط فوقهم مصابيح يهوى نحوهن فراش

وتلطف ابن عباد الإسكندرى بقوله:

ودوحة كالسماء نادمنى من تحتها بدرها على حذر
فأنشأت بالنجوم ترجمنى وذاك من غيرة على القمر

وقال آخر:

ماس القضيب بروضة من سكره لما سقاه عقاره آدار
حتى إذا سرق النسيم دراهما من كمه صاحت به الأطيار

وتذكرت هنا مطلع زجل لطيف وهو:

سرق الغصن قد محبوبى واختفى فى الورق
قطع الغصن صاحت الأطيار ذا جزاء من سرق

غيره:

رعى الله دوحا قد حللنا ظلاله وطاب لنا فيه مقيل ومسرح
سعينا إليه خلسة كنسيمة وعدنا كأغصان به تترنح

السرى الرفاه:

وحدائق يسبيك وشى برودها حتى تشبهها حدائق عبقر
يجرى النسيم خلالها فكأنما غمست فصول ردائه فى العنبر

وقال آخر:

والزهر أضحى على الأغصان منتظما كأنه لؤلؤ يبدو ويأفوت
وللرياض على أرجائها أرج كان فيه ذكى المسك مفتوت

ابن النبيه:

طاب لربيع كأنما عجن الصبا كافور مزنته بعنبر طينه
وتفضضت أزهاره وتذهبت فكأها الطاووس فى تلوينه
وحكت جبين النهر طرة ظله مذ جعدتها الريح فوق غصونه
والطير تشدو باختلاف لغاتها موسى أدام الله فى تمكينه

بدر الدين الذهبى:

وجنات ألفتها حين غنت حولها الورق بكرة وأصيلا
نهرها مسرعا جرى وتمشت فى وباها الصبا قليلا قليلا

بعض المغاربة وأبدع:

وتحدث الماء الزلال مع الحصى فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا مظهرا وكأن تحت الماء درا مضمرا

الوزير المناوى:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ولهذه الأبيات حكاية لطيفة ذكرها الحافظ اليغمورى وذلك أنا أبا نصر المازنى وفد على أبى العلاء المعرى بالشام صحبة جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد منهم ما تيسر وأنشد المازنى هذه الأبيات، وأبو العلاء رجل ضرير لا يعرف أحدا منهم فقال للمازنى أنت أشعر من بالشام ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد فاتفق أن المازنى دخل عليه أيضًا مع جماعة من الأدباء فأنشد كل واحد من شعره ما تيسر، وأنشد المازنى لنفسه:

لقد عرض الحمام لنا بسجع ... إذا أصغى له ركب تلاحا

شجا قلب الخلى فقيل غنى ... وبرح بالشجى فقيل ناحا

وكم للشوق فى أحشاء صب ... إذا اندملت أجد له جراحا

ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى ... وسكران الفؤاد وإن تصاحا

كذاك بنو الهوى سكر صحاة ... كأحداق المها مرض صحاحا

فقال له أبو العلاء ومن بالعراق فانظر إلى نور بصيرة هذا الأعمى كيف عرف رؤية هذا الشاعر وصوته من غير أن يرى شخصه ولا سمىٰ له نفسه وعطف قوله من بالعراق على قوله من بالشام بعد مدة طويلة مجير الدين بن تميم:

ونهر خالف الأهواء حتى ... غدا طوعا لها فى كل أمر

إذا سرقت حلى الأزهار ألقت ... إليه بها فيأخذها ويجرى

وقال أيضًا:

سرق النسيم حلى الغصون بسحره ... لما أتاها وهى فى أطرابها

ورمى بها نحو الغدير فضمها ... من خوفه فى صدره وجرى بها

محيى الدين بن قرناص:

حسن ما رأيت من فعل نهر ... لهواه الغصون يجرى إليها

فهو من فرط وجهه قد رآها ... شامخات فخر بين يديها

سيف الدين المشد:

ولقد شربت مع الحبيب مدامة عذراء إلا أنها شمطاء

والروض بين تكبر وتواضع شمخ القضيب به وخر الماء

وقال الصفدى:

لما زها زهر الربيع بروضة وغدا له فضل يبين عليه

قام الحمام له خطيبا بالثنا وجرى الغدير فخر بين يديه

ابن قرناص:

يا حسنها من رياض غدا جنودها فنونا بأفنانها

جرى الماء فيها على رأسه لتقبيل أقدام أغصانها

القسم بن على معارضا:

انظر إلى الغدران كيف ترقرقت فبدا بها شنج الغصوت المليس

معكوسة الأشكال تحسب أنها قامت على الأيدى له والأرؤس

وقال آخر:

ونهر بحب الروض أصبح مغرما يروح ويغدو هائما بوصالها

إذا بعدت عنه شكا بخريره جفاها وأمسى قانعا بخيالها

ابن تميم:

ونهر بحب الروض أصبح مغرما له زجل من حوله وغدير

ويطربه صوت الحمام بدوحه فيرقص فى أرجائه ويدور

غيره:

والنهر د على الغصون محبة ظلت تطيل صدوده وجفاه
فتراه يجرى لاثما أقدامها وخريره يشكو الذى يلقاه

وقال آخر:

ونهر بحب الروض أصبح هائما وكل مناه أن يميل إليه
يقبل أقداما له وهى تنثنى احـ ـتيالا ولم تبرح تطول عليه

الوجيه المناوى:

وبركة بالروض محفوفة رائقة فى حسنها صافية
راحت بقد الغصن مشغوفة حتى غدت تدعى له جارية

ابن تميم:

وحديقة ينساب فيها جدول طرفى برونق حسنه مدهوش
يبدو خيال غصونها فى مائه فكأنما هو معصم منقوش

ابن خفاجة:

قد رق حتى ظن درعا مفرغا من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء

وقال غيره:

ولما نزلت الحى عاينت روضة شقائقها تزهو كخد مورد
وفيها غدير ماؤه متسلسل به الموج يحكى ثوب وشى مزرد
وقد جعدته الريح حتى كأنه إذا ما رأته العين صفحة مبرد

ابن الزقاق البلنسى:

وروضة عاطر بنفسجها ... مظاهر وشيها وسندسها

خاف عليها الغمام حادثة ... فسل سيف البروق يحرسها

سيف الدين المشد:

كأنما النهر إذ مر النسيم به ... والغيم يهمى وضوء البرق حين بدا

رشق السهام ولمع البيض يوم وغى ... خاف الغدير سطاها فاكتسى زردا

وقال آخر:

والماء تلعب أطراف النسيم به ... ما بين ماض وآت أى تلعاب

كأنه زرد الزعف المضاعف أو ... نقش المبارد أو تفريك أثواب

وقال الصفدى:

النهر يسرى فى الرياض وثوبه ... بيد النسيم مفرك مصقول

والغصن توقظه الصبا فيقوم من ... خبل الرقاد وفرعه مهدول

وله أيضًا:

وروضة ملأ الأكياس كأسهم ... فيها وكم أفرغوا فى ذاك أكياسا

غصونها من سلافات النسيم غدت ... تميل سكرا ولم ترفع لها رأسا

ابن تميم:

وحديقة مالت معاطف ... دوحها من غير سكر

والنهر ساع قد غدا ... بسعادة الأزهار يجرى

سيف الدين المشد:

كـــــأنما الروض حين وافى ... سقـاه صوب الغـمام خـمرا

فـاحـمـر خـد الشـقـيـق منه ... ومـال قـد القـضـيب سكرا

وقال آخر:

وروضـة من قـرقف جـدولهـا ... وغناء الورق منهـا فى ارتفـاع

لا تلم أغـصـانهـا إن رقـصت ... فـهى مـا بين شـراب وسـمـاع

الشريف على بن دمزخوان:

ودوحـة سكرت أغـصـانـهـا ... فللهوى فى مـعـانيـهـا إشارات

مـاست فنقطهـا غـيث بـلؤلؤه ... ففـوق أوراقـهـا منه جـمـانات

فـهن فى العين ها آت مطمسـة ... من اللجين وإن سالت فـميمات

القيراطى من قصيدة:

تشـوقنى ألفـات الروض مـائلة ... من الـنسـيم سكـار وهى دالات

ولى من الورق فى أوراقـهـا طرب ... كـأنهن على العـيـدان قـينات

على بن سعيد الأندلسى:

كـأنما النهـر صـفـحـة كـتـبت ... أسطرهـا والنسـيـم منشـيـهـا

لما أبـانـت عـن حس مـنـظـرهـا ... مـالت إليـهـا الـغـصـون تقـريهـا

وقال أيضًا:

سـقـى الله بستـانا حللنا بـدوحـه ... وقد مالت الأغصان من كثرة الشرب

تراقـصت الأغـصان فـيـه ونقطت ... مغانى الرياض السحب باللؤلؤ الرطب

القاضى زين الدين ابن العجمى:

أنظر إلى الغدران كيف تجعدت ... أمواجها فزهت وراقت منظرا

وحكت سطورا فى طروس خطها ... قلم النسيم بلطفه لما ابترى

شهاب الدين أحمد الفرسينى:

ويد الشمال عشية مذ أرعشت ... دلت على ضعف النسيم بخطها

كتبت سقيما فى صحيفة جدول ... فيد الغمامة صححته بنقطها

وأجاد ابن نباتة:

سقيا لمعهد أنس كان يسند لى ... بوجهه الطلق عن بشر بن بسام

حيث النسيم يجر الذيل من طرب ... والزهر يرقص من عجب بأكمام

والنهر طرس تخط الريح أسطره ... والقطر يتبع ما خطت بإعجام

وقال ابن الساعاتى:

لله يوم فى سيوط وليلة ... صفو الزمان بأختها لا يغلط

بتنا وعمر الليل فى غلوائه ... وله بنور البدر فرع أشمط

والطير تقرأ والغدير صحيفة ... والريح تكتب والغمام ينقط

أبو الحسنين مطرف الغرناطى:

وعشى أنس أضجعتنى نشوة ... فيه تمهد مضجعى وتدمث

خلعت على بها الغمامة ظلها ... والغصن يصغى والحمام يحدث

والشمس تحتج للغروب مريضة ... والردع يرقى والغمامة تنفث

وتلطف ابن نباتة:

قم يا غلام وهاتها في جنة ... صفراء صافية كما وضح الشفق

هذي الحمائم في منابر أيكها ... تملى الغنا والطل يكتب في الورق

والقضب تخفض للسلام رؤوسها ... والزهر يرفع زائريه على الحدق

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفا:

رعى الله أياما أهاج بلابلى ... إليهن روض قد تناجت بلابله

فما راقنى فى الماء إلا صفاؤه ... ولا شاقنى فى الغصن إلا تمايله

كأن به القمرى صب له الصبا ... رسول وأوراق الغصون رسائله

مصارف همى فى مناجاة طيره ... إذا أنفذت لى ما حوته حواصله

ابن سكرة الهاشمى:

أما ترى الروضة قد نورت ... وظاهر الروضة قد أعشبا

كأنما الأرض سماء لنا ... نقطف منها كوكبا كوكبا

ابن الزقاق البلنسى:

أديروها على الزهر المفدى ... فحكم الصبح فى الظلماء ماض

وكاس الراح تنظر عن حباب ... تنوب لنا عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الليل لكن ... نقلن من السماء إلى الرياض

وقال آخر:

كأن المياه خلال الرياض ... وزُين أزهارها ناظرة

سماء تقطع فيها الغمام ... فلاحت به الأنجم الزاهرة

ابن تميم:

وبركة ماء يملك العين صفوها ... يحف بها روض من النبت مزهر

ويسرح منها فى الخمائل جدول ... كما سل من درع حسام مجوهر

وله أيضًا:

والنهر لما أن زها نثرت له ... أغصانه درا فزاد تفوقا

وأراد يحميه فجرد حوله ... من كل ساقية حساما مرهفا

ابن عباد الديلمى:

نهر يهيم بحسنه من لم يهم ... ويجيد فيه الشعر من لم يشعر

فكأنه وكأن خضرة شطه ... سيف يسل على بساط أخضر

علاء الدين الوداعى:

والروض يهدى مع نسيم الصبا ... نشر خزامه وريحانه

وراسل القمرى ورقاءه ... شدوا على أوتار عيدانه

والنهر كالمبرد يجلو الصدا ... ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

يا حبذا روض يشوق ... الناظر المتردد

والنهر فيه كمبرد ... فلأجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة ببرد فى بيت الوداع

وأجاد ابن الساعاتى بقوله:

وكـأن جـدوله حـسـام مـرهف ... مـا أن يزال مـدى الزمـان مـجـردا
صـدأ الظلال يزيـد رونق حـسنه ... أرأيت سيـفـا قط يصـقله الصـدا

أبو القسم بن العطار:

ركـبنا على اسم الله نهـرا كـأنه ... حـبـبـا على عطفيـه وشى حبـاب
وإلا حـسـام حـال فـيـه فـرنده ... له من مـديد الظـل أى قـراب

محمد بن الحسن:

والنهـر مكـسـوا فـلالة فـضـة ... وإذا جـرى سـيل فـثـوبُ نضـار
وإذا استـقام رأيت صـفحـة منصل ... وإذا استـدار رأيـت عطف سـوار

أبو العباس الأعمى:

وجـدول مـاء كـالمجـرة أسـبـغت ... بحافـاته الأنهار من نـسجهـا بسطا
صـفـا مـاؤه حـتى كـان انصبـابه ... حـسـام إذا مـا سل أو حـيـة رقطا

جمال الدين النابلسى الصوفى:

يا حـسن زهر الدوح فـتح بعـضـه ... والبـعض مـضـمـوم عليـه خـتـام
وكـأنما أغـصـانـه أهل الهـوى ... ذا كـــاتم ســـرا وذا نـمـام

ابن نبيه من قصيدة وأبدع إلى الغاية:

وروضة وجنات الورد قـد خجلت ... فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشـاجـر الطير فـى أفنانهـا سحـرا ... ومالت القـضيب للتعـنيق واصطلحات
والظل قـد رش ثوب الدوح حين رأى ... مـجـامـر الزهر فـى أذياله نفـحت

وقال آخر:

أنظر إلى الأغصان كيف تعانقت ... وتفارقت بعد التعانق رجعا

كالصب حاولة قبلة من أليفه ... ورأى المراقب فانثنى مسترجعا

الوداعى:

ويوم لنا بالنيرين رقيقة ... حواشيه خال من رقيب يشينه

وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة ... فردت علينا بالرءوس غصونه

بدر الدين يوسف الذهبى:

أدر كؤوس الراح فى روضة ... قد نمقت أردانها السحب

الطير فيها شيق مغرم ... وجدول الماء بها صب

وقال آخر:

ما فتح النور إلا أشرق النور ... فما اشتغالك والمنثور منثور

يا حبذا ودروع الماء ينسجها ... أنامل الريح لولا أنها زور

ابن رشيق:

قم فاسقنى قهوة إذا ابنعثت ... فى باخل جاد بالذى ملكه

كأن أيدى الرياح قد بسطت ... فى متنه أظهرت لنا حبكه

ابن نباتة:

قفا فاعجبا من هامل الغيث أنه ... لأحسن شيء يعجب العين والفكرا

يمد على الآفاق بيض خيوطه ... فينسج منها للثرى حلة خضرا

ابن خفاجة:

وما الأنس إلا فى مزاج زجاجة ولا العيش إلا فى صرير سرير

وإنى و خنت المشيب لمولع بطرة ظل فوق وجه غدير

ومن هنا أخذ ابن نبيه فقال فى مطلع قصيدة:

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وهى قصيدة بديعة زهرية وسأذكر الغرض منها فى موضعه ومثله قوله من قصيدة:

والنهر خد بالشعاع مورد قد دب فيه عذار ظل البان

والماء فى سوق الغصون خلاخل من فضة والزهر كالتيجان

ويعجبنى قول بعضهم:

سر نحو دوحتنا التى لما انجلت جعل السحاب نثارها من ظلها

وأعجب لنهر من عطاء حيائها ويعيش طول زمانه فى ظلها

وقال آخر:

كأنما النهر وقد حفت به أشجاره فصافحته الأغصن

مرآة غير قد وقفن حولها ينظرن فيها أيهن أحسن

ابن الرومى وقيل للصفدى:

وغدير رقت حواشيه حتى بان فى قاعه الذى كان ساخا

فكأن الحمام إذ وردته من صفا مائه تزق فراخا

وقال آخر:

وضـاحيـة وردت بهـا غـديرا يقـدر مـن صـفـاء الماء أرضـا
كـأن الـوحش حين تعب فـيـه يقبل بـعـضـهـا للسـوق بعـضـا

بدر الدين يوسف الذهبى وأجاد إلى الغاية:

وحـديقـة مـطولة بـاكـرتهـا والشـمس ترشـف ريق أزهار الربا
يتكسـر الماء الزلال على الحـصى فـإذ غـدا بين الـرياض تشـعبـا

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال من قصيدة:

وكـأن ذاك النهـر فـيـهـا مـعـصم بيـد الـنسـيم منـقش ومكـتب
وإذا تكـسـر مـاؤه أبصـرته فى الحـال بين رياضـه يتـشـعب

* * *

الباب التاسع عشر

فى الجداول والشاذروانات والدواليب والنواعير والبرك والفوارات

قال بعضهم:

وما جدول ينساب من فوق شاهق ... كما انساب أيم فى صفيح غديره

تكسر فوق الصحن بالجرى جسمه ... فدل على آلامه بخريره

ابن تميم:

ألا رب يوم قد تقضى بروضة ... ظللت بها فى طول عمرى مفكرا

بعينى رأيت الماء ألقى بنفسه ... على رأسه من شاهق فتكسرا

وله فيه:

يا حسنه من جدول متدفق ... يلهى برونق حسنه من أبصرا

ما زلت أنذره عيونا حوله ... خوفا عليه أن يصاب فيعثرا

فأبى وزاد تماديا فى جريه ... حتى هوى من شاهق فتكسرا

القاضى زين الدين بن العجمى:

تسلسل ماءى وهو لا شك مطلق ... وصح حقيقا حين قالوا تكسرا

وفى قلب ماءى للقلوب مسرة ... وقالوا سيجرى بالهنا وكذا جرى

القيراطى فى شاذروان:

يا حسن شادروان ماء لم يزل ... يهدى جواهره إلى الأضياف

ما أمه الجلساء يوم سرورهم ... إلا تلقاهم بقلب صافى

شهاب الدين ابن أبى حجلة:

وشـــاذروان مـــاء بات يجـــرى كـــــعين الصب روع يوم بين

إذا مـــا قيل جـــد بالماء ســـريعـــا يقـــول نعم على رأسى وعـــينى

السلامى فى الدولاب وهو بفتح الدال وضمها:

والأرض طرس والرياض سطوره والزهـر شكل بينهـا وحـــروف

وكـــأنما الدولاب ضل طريقـــه فـــتـــراه لـيس يزول وهو يطوف

وقال ابن تميم:

تأمل ترى الدولاب والنهر قد جرى ودمـعـهـمـا بين الرياض غـزير

وضاع النسيم الرطب فى الروض منهما فـأصـبح ذا يـجـرى وذاك يدور

وأجاد بدر الدين يوسف الذهبى:

وروضـــــــة دولابهـــــا إلى الـغـــصـــون قـــد شكى

من حين ضـــــاع نشـــــرها دار عـلـيـــــــــه وبـكـى

وقال آخر:

رب ناعـورة كـأن حـبـيـبـهـا فـارقـتـه وقـد غـدت لى تحكى

أبـدا هكـذا تئـن بشـــــجـــــو وعلـى ألفـــهـــا تدور وتبكى

وتلطف ابن تميم:

أبا حسنها من روضـة ضاع نشرها فنادت عـليـه فـى الرياض طيـور

ودولابهـا كـادت تعـد ضلوعـه لكـثـرة مـا يبكى بهـا ويدور

ابن نباتة:

وناعـورة قـسـمـت حـسنهـا ... عـلى واصـف وعلـى سـامـع

وقـد ضـاع نشـر الـربا فـاغـتـدت ... تـدور وتبـكى عـلى الـضـائع

أبو الفضل بن وفا:

هـل طربـا دارت دواليـبـنـا ... بضـوع ريـح الزهر الـشـائع

أم فـقـدت فى الروض ألفـا لـهـا ... فـلم تـدر إلا عـلـى ضـائع

وقال آخر:

أشـبـه من بين القـواديس صـوتهـا ... ومن كل وجـه مـاؤهـا يتـحـدر

بأرملـة ضـمت إليـهـا بنـاتهـا ... تنـوح بشـجـو والمـدامع تقـطر

الحوبان:

وصـامـتـة تتـغنى لـنا ... وأدمـعـهـا بين سـفح وسـفك

تـراهـا كـذا أبـدا دهـرهـا ... تدور عـلى غـيـر شىء وتبـكى

ابن نباتة:

وناعـورة قـالت وقـد حـال لونهـا ... وأضلعـهـا كادت تعـد من السـقم

أدور علـى قلبى لأنـى فـقـدته ... وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

وقال آخر:

أبدى لنا الدولاب قـولا مـعـجبـا ... لمـا رآنا قـادمـين إليـه

إنى من العجب العجـيب كما ترى ... قلـبى مـعـه وأنا أدور عـليـه

شهاب الدين بن فضل الله:

يا حسن دولابنا الذى سلبت ... قلوبنا طيب أصواه الغردة

أعجب ما فيه أنه أبدا ... يبكى على قلبه وما فقده

وقال آخر:

وذات شجو أسالت ... مدامعا لم تصنها

تبكى بفرط دموع ... ويضحك الروض منها

غيره:

حنت وأنت وفاض مدمعها ... من أعين ما تخاف من رمد

فأحيت الأرض من مدامعها ... وأحرقت من أنينها كبدى

ابن سناء الملك:

وساقية نزلت بها وألفى ... أودعه كتوديع المروع

فصوت أنينها يحكى أنينى ... وفيض مياهها يحكى دموعى

غيره:

وناعورة قد ضاعفت بنواحيها ... نواحى وأجرت مقلتاى دموعها

وقد ضعفت مما تئن فقد غدت ... من السقم والشكوى تعد ضلوعها

ابن تميم:

أبدت لنا بالعذر ناعورة ... أدمعها فى غاية السكب

تقول لما غاب قلبى وقد ... ضعفت بالنوح وبالندب

صيرت جسمى كله أعينا ... تدور فى الماء على قلبى

وله أيضًا:

وناعورة مذ ضاع منها قلبها ... دارت عليه بانة وبكاء
وتعللت بلقائه فلأجل ذا ... جعلت تدير عيونها فى الماء

وقال آخر:

لله دولاب يدور بسلسل ... فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بد الحمام بشجوها ... ويجيبها فتخالها ألحانا
فكأنه صب ألم بمعهد ... يبكى ويندب ربع من قد حانا
ضاقت مجارى جفنه عن دمعه ... فتفجرت أضلاعه أجفانا

وقال آخر:

ناعورة لما رأتنى مفكرا ... قالت ولم تدر المقال ولم تعى
كم فى عجب برى مع أننى ... أبدا أسير ولا أفارق موضعى
لا رأس فى جسدى وقلبى ظاهر ... للناظرين وأعينى فى الأضلعى

ابن الوردى:

ناعورة مذعورة ... ولهانة وحائرة
الماء فوق كتفها ... وهى عليه دائرة

مجير الدين بن تميم وهو من المعانى المخترعة:

وناعورة شبهتها حين ألبست ... من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
بطاووس بستان يدور وينجلى ... وينفض من أرياشه بلل القطر

ابن الرومى:

تفـــرق بالكيـــزان ناعـــورة حنينهـــا كـــالربط الناعـــر
فـــتارة تحـــســـبـــهـــا قـــينة تـردد اللـحـن عـلى الـزامـــــر
كـــأنما كـــيـــزانهـــا أنجم دائـــرة فـــى فـلـــك دائـــر

الخطيرى:

وكـريمـة سـقت الريـاض بدرها فـغدت تنـوب عن الغمـام الهـامع
كـمـسير مـشتـاق وحنة مـدنف ودمـــوع مـــهـجـــور وأنة جـازع

وقال آخر:

لله أزهار دوح كـاد يضـــحكهـا صـوب الغمـام بدمع منه منسفك
حكت نجـوم السـمـا أزهارها فلذا أضحى يدور بها الدولاب كالفلك

سعد الدين بن عربى وأجاد:

شـــــاهدت دولابـا لـه أدمـع تـكـفـلـت لـلـروض بـالـرى
فـــأعـــجب له مـن فلـك دائرا مـا فـيـه برج غـيـر مـائى

وقال آخر:

الأرض تشرب والدولاب يسقيها والكاس تخضب منا كف ساقيها
اشرب على ربة الدولاب ما حملت من الزلال وصبت فى مجاريها
كـأنه حـبـشى فـوق عـاتقـه أولاده هو فـى بحـــر يدلـهـــا

ابن الوردى:

حـــــــالة الدولاب دلت إنه فى فـــــرط حـــــزن

كـــــان يســـــقى ويغنى صـــــار يســـــقى ويغنى

وقال غيره:

ودولاب إذا مـــــــــا نـا ح زاد القلب أشـــجـــانا

ســـــقى الغـــــصن وغناه فـــمـــا يبـــرح نشـــوانا

ظافر الحداد:

وكـــأنما الدولاب يزمـــر كلمـــا غنت وأصوات الضفادع شيز

ركأنما القمرى ينشد مصرعا من كل بيت والحمـام يجيـز

غيره وأظنه للصفدى:

وناعورة حنت وأنت وقد غدت تعبر عن حال المشرق وتعزب

ترقص عطف الغصن تيها لأنها تغنى له طول الزمـان ويشـرب

ابن تميم مضطجعا:

ودولاب روض كان من قبل أغصنا يميس فلمـا مـزقـته يد الدهر

تذكـــر عـهـــدا بالرياض فكله عيون على أيام عهد الصبا تجرى

سيدى أبو الفضل بن وفاء من أبيات:

فى روضة نشرت من حليها حللا مـــدنرات كـــأذناب الطواويس

عـاينت روية دولاب وسـبـحـتـه قـد أبدتا حين تسـبيح وتقديس

لغز فى ساقية:

وجارية لولا الحوافر ما جرت أشاهدها تجرى وليس لها رجل

وترضع أولادا وما هى أمهم وليس لها ثدى وليس لها بعل

وما أظرف قول الشيخ نجم الدين القجقيرى وقد سأل جماعة من طلبته عن قول الشاعر:

يا أيها الحبر الذى علم العروض به امتزج

ابن لنا دائرة فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيها ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية لأنه أراد بالبسيط الماء والهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ أصبت إلا أنك درت فيها زمانا حتى ظهرت لك وهذا من الشيخ فى غاية اللطف فى ناعورة بثغر حماة:

ناعورة فى النهر أبصرتها تشوق الدانى والقاصى

قد نبهتنى للهدى والتقى لأنها تبكى على العاصى

وقال ابن أبى المنصور الدمياطى وزير الملك الأشرف من بلغاء المائة السابعة مررنا فى بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل ورأينا بئرا عليها دولابان متجاوبان قد دارت أفلاكهما بنحو القواديس ولبعت بقلوب ناظريهما لعب الأمانى بالمفاليس وهما يئنان أنين أهل الأشواق ويفيضان دمعا أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للأعين زبرجده والأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون والسواقى قد أزالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد علاه من

الطل لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل صقيل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجو درعه فاستوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا حسنًا وقلوبنا التذاذا وملنا إلى الدولابين شاكين أزمرا حين سجعت قيان الطير بألحانها وشدت على عيدانها أم ذكر أيام نعما وظابا مذ كان أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذيذ الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع.

الشيء بالشيء يذكر اجتمع الشيخ بدر الدين البشتكى والقاضى فخر الدين بن مكانس مع جماعة من أعيان مصر فى سواقى الهمائل بشاطئ النيل المبارك، وكان بين القاضى فخر الدين والشيخ بدر الدين مداعية، فقام البدر البشتكى ودار فى الدولاب وكانت ليلة البدر فأنشد القاضى فخر الدين فيه قصيدة بديعة كلها غرر ودرر فأحببت إيرادها لئلا يخلو هذا المجموع اللطيف منها وهى هذه:

دورة البدر فى سواقى الهمائل ... تركت أدمع المحب هوامل
آه من للرياض ثور أديب ... مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجو ... د وأغنى من الولى الهاطل
زاد علما على أبى ثور لكن ... قال بالدور ماؤه والسلاسل
قد أعار الجناس حس توار ... وأتته تورية فهو كامل
يا سعيدا أثرى من النظم والنثر ... فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو ... رفها غصنها من السكر مائل
لم تدع من نباتة لم تجدها ... فابنها بالثنا عليك يواصل
وابن قادوس كان طالع فى خد ... متك اليوم بالأوامر نازل
وغدا بالظلال كل أديب ... فى هجير الرمضا بفضلك قائل

وبروحى عيون نرجس دوح ... تغزل الحسن بالند وتغازل
أنت شنفتها بشعرك دهرا ... وبعثت المياه فيها خلاخل
كم غصون أينعتها فعليها ... هاج للطير والمحب بلابل
أنت فى الحالتين تصريفك الأحـ ... ـرف أو كيمياء ذهنك واصل
أنت لو لم تكن بحار علوم ... ما جرت فى الرياض منك جداول
كنت عندى أجل قدرا وقد ... درت من النور للوجود الحامل
وغدا قس بين لطفك والروض ... على الحالتين عندك باقل
أنت يا بدر فقت بدر الدياجى ... فلهذا تبدو وذلك آفل
يا خليا أبثه الشجو إن لم ... يك عنى كدمع عينى سائل
فالأديب المحب يشكو هواه ... للأريب المحب عند النوازل
أنا مغرى بحب أحور ألمى ... يا فتى يزرى بغصن الخمائل
من بنى الترك قده اللدن ... واللحظ كلا الفاتنين أصبح ذبل
أعين الزهر والغصون تراها ... شاخصات إذا مشى وموائل
لا تقل لى الأعراب تحكيه حسنا ... ما ترى للأعراب هذى العوامل
ماس عجبًا وقصده يقتل الخلـ ... ـق دلالا وللدلال دلائل
لا تلم فى عذاره هنك شيبى ... أنا قد بعت أجلى بالعاجل
لعمرى أنت الذكى ولكن ... أنت والله من غرامى غافل
هاك حالى شرحته فأغتنى ... إن تكن يا أخى لهمى حامل
واطرح عتبها فعيش المحبيـ ... ـن مجون والعيش كالظل زائل
دمت يا جامع المحاسن والشمـ ... ـل ولا زال غيث فضلك شامل

أنت بدر أم أنت شمس فأنا قد رأيناك غرة فى الأصايل

وكفيت الجزار يا أشرف القو م ومن جوده ينسى ابن باخل

فأجابه الشيخ بدر الدين بقصيدة منحطة عن رتبة هذه القصيدة آثرت حذفها خوف الملل والإطلة فى بركة ماء:

وبركة للعيون تبدو فى غاية الحسن والبهاء

كأنها إذ صفت ورقت فى الأرض جزء من السماء

ابن تميم:

لقد قابلتنا بلعجائب بحرة مكملة الأوصاف والطول والعرض

كأن الذيرنو إليها بطرفه يرى نفسه فوق السما وهو فى الأرض

وله فى مليح يشرب بفيه من بركة:

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا من بركة راقت وطابت مشرعا

أبدى لعينى وجهه وخياله فأرتنى القمرين فى وقت معا

فى بركة يسبح فيها مليح أسود:

يا أسودا يسبح فى بركة فقت الورى حسنا وإحسانا

كنت لخد الحسن خالا وقد صرت لعين العين إنسانا

ابن خفاجة فيه:

وأسود يسبح فى لجة لا تكتم الخصباء غدرانها

كأنها فى شكلها مقلة زرقاء والأسود إنسانها

شرف الدين الأسعد بن مماتى فى خليج فيه ملاح يعومون:

خليج كالحمام له صقال ولكن فيه للرائى مسره

رأيت به الملاح تجيد عوما كأنهم نجوم فى مجره

وقال صاحب بدائع البداية أخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد قال اجتمعت مع جماعة من أدباء الإسكندرية فى بستان لبعض أهلها فحللنا روضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كجو سماء فنثر عليه بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيرة وأهدى إلى لجتها جواهر نثيرة فتعاطينا القول فى تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونشرنا ما حبرنا، فأنشد عباس بن ظريف شعرا:

نثر الياسمين لما جنوه عبثًا فاستقر فوق الماء

فحسبنا زهر الكواكب يحكى زهر الروض فى أديم السماء

قال والذى قلت أنا:

نثروا الياسمين فى صفحة الما ء فخلنا النجوم وسط السماء

فكأ السماء فى باطن الأر ض أو الدر طف فوق الماء

وقال ابن تميم فى هذا المعنى:

ولما نثرنا الزهر فى الماء وانبرت تجعده أيدى الصبا والحبائب

حسبنا سماء قد تجعد غيمها ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب

وحكى الأديب أبو الربيع سليمان بن إسماعيل المنبجى قال جمعنى مجلس أنس مع الأديب أبى إسحاق إبراهيم بن أبى الثناء المنبجى بالفيوم فى

بستان فيه بركة وفوارة ماء، وقد ثرنا على الماء ياسمينا فتجاذبنا أهداب وصفها.

قال أبو إسحاق:

بركة تصعد الأنابيب منها ... يقعد الماء فوقها ويقوم

فلذا اطلعت فواقع تبدو ... كالقوارير من زجاج تعوم

وقلت أنا:

وبركة تذهل العقول لها ... تحار فى وصف حسنها الفكر

كأنها مقلة محدقة ... عبرى من الوجد نالها السهر

تخال أنبوبها لصحته ... والماء يعلو به وينحدر

كصولجان من فضة سبكت ... فواقع الماء تحتها أكر

وقال آخر فى بركة وفوارة:

وبركة ماؤها يسمو بها أبدا ... إذا جرى مسرعا من كل دستور

كأنه إذا بدا فى الجو منتشرا ... در تناثر من قضبان بلور

وقال آخر:

أحسن ما أبصرت فوارة ... تبعث بالماء لدون السما

كأنما الماء الذى أرسلت ... عمود نور قائم فى الهوا

ابن تميم مضمنا:

لقد نزهت عينى أنابيب بركة ... تقابلنى أمواهها بالعجائب

أنابيب سحت فى علو كأنما ... تحاول ثارا عند بعض الكواكب

وله مضمنا أيضًا:

لو كنت إذ أبصرتها فوارة ... للشمس فى أمواجها لألاء
لرأيت أعجب ما يرى فى بركة ... سال النضار بها وقام الماء

الوجيه المنازى:

فوارة تشبه فى شكلها ... سبيكة من ذهب خالصة
تلهيك بالحسن فقد أصبحت ... جارية ملهية راقصة

وقلب بعضهم هذا المعنى فقال:

وقينة ملهية قد غدت ... تستوقف السامع والراءى
جارية راقصة أشبهت ... فى وصفها فوارة الماء

ابن حجاج:

صنعت فى دارك فوارة ... أغرقت فى الأرض بها الأنجما
فاض على نجم السما ماؤها ... فأصبحت أرضك تسقى السما

القاضى زين الدين بن الخراط فسح الله فى أجله:

تعبدت بالشكر حتى لها ... من نغسها ماء ومحراب

ابن المعتز فى بئر ماء:

حفرتها جوفاء منقورة ... فى دمت سهل وطيب التراب
تضمن رى الجيش للمستقى ... كأن دلويها جناحا غراب

* * *

الباب العشرون
فى نيل مصر ومنتزهاتها نظما ونثرا

قال الشيخ شهاب الدين أبى حجلة فى كتابه السكردان ذكر المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الأرض وذلله له فإذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فإذا انتهى جريه إلى ما قدره الله أمر كل نهر أن يرجع إلى عنصره ومصداق ذلك أن النيل مخالف لكل نهر على وجه الأرض فإنه يزيد إذا نقصت وينقص إذا زادت، وفى أصل النيل أقوال فذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف وأن يخترق البحر الأخضر المالح بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزم فيسير ما شاء الله تعالى إلى أن يأتى بحيرة الزنج. قال الحاكى لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لما كان يستطاع أ يشرب منه لشدة حلاوته.

وقال قوم مبدؤه من خلف خط الاستوا بإحدى عشرة درجة، وقال قوم من جبل القمر وأه ينبع من اثنتى عشرة عينا وكان فرعون يجبى خراج مصر فى كل سنة ألف ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل بيته وبيت ماله والربع الثانى لوزرائه وأمرائه وكتابه وأجناده، ويدخر الربع الثالث للمصالح ويصرف الربع الرابع فى حفر الخلجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الأرض، فإذا كمل التخضير فى كل سنة نفذ مع قائدين من قواده أردبين من القمح فيذهب أحدهما لى أعلى مصر والآخر إلى أسفلها فيتأمل القائد أرض كل ناحية، فإن وجد موضعا بائرا كتب إلى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فيأمر فرعون بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله

وولده، فربما عاد القائدان ولم يجد أحدهما موضعا لبذر ذلك الأردب لتكامل العمارة واستظهار الزرع وجباها عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله إياها والكلام علي ذلك يطول.

وقال القاضى زين الدين بن العجمى ملغزا فى النيل سألتك أعزك الله عن سائ لاحظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالأشراف كثير الرجفان من غير ارتجاف كم رد سائله نهرا وعفر وجه فاقده بالتراب قسرا مذكر كثير الحيض لطيف الانبساط سريع الغيض يتشعب ويتكسر وله خمسون عينا وأكثر يحمل القناطير المقنطرة ويعجز عن حمل إيره سريع الاستحالة قلما يثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاء وداده بالإكدار يسكن فى تخوم الغبراء وينم على أحوال السماء رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولى الحميم يجود بأفخر الحلى ولا يرد من نداه مؤملا كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا وطغا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملق وكم علا درجا وحط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق، وكم طهر أمما من أرجاسها وأماط عن أرض ردىء أدناسها، وكم درأ عن شيخ خبثا ورفع كهلا وحدثا يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا. كم أباح مجرما للعباد وأكثر الفساد فى البلاد وكم رأينا شموسًا تجرى لسمتقرها فيه وتجنح وتلوح فى فلكه وتسبح جمع فيه الخوف والرجاء والكدر والصفاء. ومن العجب أنه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالميتة ولم يخش فى ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه بين الأضداد وأرسله رحمة للعباد بمنه وكرمه.

وقال أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن ملغزا فيه:

وخل صفاء زرته بعد هجعه فألفيت شخصى فى حشاه مصورا

وأودعته سرا فأفشاه للورى فيا حسن ما أفشى الغداة وأظهرا

أبوه حليف للثريا وأمه ... به حامل فى بطن منخفض الثرى

سطيح له جسم بغير جوارح ... يبارى الرياح الجاريات إذا جرى

تدور عليه لريح ثوبا مفركا ... وتكسوه شهب الليل ثوبا مدثرا

وقال أبو الحسن الباخرزى ملغزا يه أيضًا:

لا أحاجى فى زمرة الفضلاء ... غير خل خصصته بإخاء

فى شبيه البلور رد إلى الما ... ء وقد كان قبل عين الماء

ينذر الحر بالهزيمة بردا ... فهو المنذر بن ماء السماء

وأجاد الشيخ علاء الدين الوداعى بقوله:

رو بمصر وبسكانها ... شوقى وجدد عهدى الخالى

وصف لى القرط وشنف به ... سمعى وما العاطل كالحالى

وارو لنا يا سعد عن نيلها ... حديث صفوان بن عسال

وقال إبراهيم المعمار:

سمعت يوما سد مصر يقل ... النيل وافى زائرا عندى

وكان هذا خبرا صادقا ... ورحت أرويه عن المدى

وأجاد الشيخ زين الدين الوردى بقوله:

ديار مصر هى الدنيا وساكنها ... هم الأنام فقابلها بتفضيل

يا من يباهى ببغداد ودجلتها ... مصر مقدمة والشرح للنيل

وتلطف من قال:

إن مصراً لأطيب الأرض عندى ليس فى حسنها البديع قياس
ولئن قستها بأرض سواها كان بينى وبينك المقياس

وألطف منه:

أرى أهل الشام يفاخرونا وتلك وقاحة فيهم وخصلة
وكيف يفاخروا بالشام مصرا وشهوة كل من فى الشام نخلة

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى:

لنيل مصر كمال فى زيادته وفضله غير مخفى ومكتتم
إذا بدت لك من تياره شيم رأيته طاهر الأوصاف والشيم

القاضى شهاب الدين بن فضل الله:

لمص فضل باهر فى عيشها الرغد النضر
فى كل يوم يلتقى ماء الحياة والخضر

الشيخ شمس الدين بن الصائغ:

أرض بمصر فتلك أرض من كل فن لها فنون
ونيلها العذب ذاك بحر ما نظرت مثله العيون

وأجاد صلاح الدين الصفدى:

لم لا أهيم بمصر وأرتضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى من مائها أن تملق

ابن أبى حجلة:

نشروا القلوع وبشروا بوفائه فالراية البيضا عليه بالوفا

الشيخ بدر الدين الصاحب مضمنا وأجاد:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفوا على نهر أزاهره

وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقال نصير الدين الحمامى وأجاد أيضًا:

رأيت فتى يقول بشط مصر على درج بدت والبعض غارق

إذا غطى لنا الدرج استقمنا فقلت نعم وتنصلح الدقائق

وقال آخر:

ماذا يفيد المعنى من الجوى المتتابع

بمصر ذات الأيادى ونيلها ذى الأصابع

ابن نباتة:

رقت أصابع نيلينا وطفتِ وطافت فى البلاد

وأتت بكل مسرة ما ذى أصابع ذى أيادى

النصير الحمامى:

النيل قال وقوله إذ قال ملء مسامعى

فى غيظ من طلب العلا عم البلاد منافعى

وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعى

غيره:

مـــولاى إن البـــحـــر لمـا زرته حـيـاك وهو أخـو الوفـا بالإصـبع
فـانظر لـبـسطتـه برؤيتـك التى هى مـشـتـهـاه وروضـة المتـمـتع
أرخى عليـه السـتـر لما جـئـتـه خـجـلا ومـد تضـرعـا بالإصـبع

إبراهيم المعمار:

قـد زاد بحـر النيـل بعـد الوفـا منه أصـبـعين لا أصـابت ذاك عين
وأمـرض الخـزان فـانظر وجـهـه من سقمه كـيف غدا على أصبعين

وقال أيضًا:

حـــزن الخـــزان لمـا أن رأى نيلنا قـد عـم سـهـلا وجـبل
ورأى الزرع عـروقـا أخـرجت سنبـلات ذات حب فـاخـتـبل
وبكـى إذ رمـدت مـقـلتـه زاده الله عـــروقـــا وســـبل

وله أيضًا:

جاء الرخـاء ووفى النيل وانفرجت عنا الهـمـوم وهان القـمح ثم رمى
وراح خـــزانـه للـنيل ينظـره فـاستكثـر الماء فى عـينيه ثم عـمى

الصفدى:

قـالوا عـلا نيل مـصـر فى زيادته حـتى لقـد بلـغ الأهرام حين طمـا
فـقلـت هذا عـجـيـب فى بلادكم أن ابن سـتـة عـشـر يـبلغ الهـرمـا

السراج الوراق فى شتبيه الهرمين:

ها شـايد الهـرمين نبت سـفحـهـا خـوف اهتزاز الأرض مـن خيـلاء
أم خـالـهـا حـسناء تجلى فـانثنى نهـديـن فـوق ترائب الحـسناء

شهاب الدين بن أبى حجلة:

يـا رب إن الـنـيـل زاد زيـادة ... دت إلى هـدم وفـرط تـشـتت

مـا ضـره لو جـا عـلى عـاداته ... فى دفـعـه أو كـان يدفع بـالتى

شديد الدين بن كاتب المرج:

يا نيل يا ملك الأنـهار قـد شـربت ... منك البـرايا شـرابا طيبـا وغـذا

وقد دخلـت القرى تبـغى منافعـها ... فـعمـها بعـد فـرط النفع منك أذى

فـقـال تذكـر عنى أننـى ملك ... وتنـثنى نـاسـيـا أن المـلوك إذا

الشيخ تقى الدين بن حجة فسح الله فى أجله:

أيا مـلكـا بالله صـار مـؤيدا ... ومنتـصـبـا فى ملـكه نصب تمـيـز

كسرت بمسرى نيل مـصر وتنقضى ... وحـقك بـعـد الكسـر أيـام نيـروز

النصير الحمامى وقد أبطأ وفاء النيل:

إن عـجل النيـروز قـبل الوفـا ... عـجل للـعـالم صـفع القـفـا

فـقـد كفـى من دمعـهم مـا جـرى ... ومـا جـرى من نيلـهم مـا كـفى

ابن مماتى:

ولقـد عـهـدت البـحـر سنيـا يرى ... عـمـرا ويتـبع رأيه تسـديدا

واليوم أضـحى فى الورى متشيـعا ... مـتـوقـفـا مـا أن يحـب يزيدا

الشيخ بدر الدين بن الصاحب وقد انتقل النيل إلى بر الجيزة:

يا أيـهـا الـسلطـان إن النيـل عن ... مـصـر تنقـل بعـد طول جـوار

فـاحـفظ لنـا جـريانه وجـواره ... فـالله قـد أوصى بحـفظ الجـار

وللشيخ بدر الدين بن الصاحب أيضًا:

كانت لمصر مزية ... بالنيل مذ ولى خلت
كأنه زوج لها ... فبعده ترملت

الشيخ بدر الدين البشتكى:

تعلم هذا النيل من خلقى الوفا ... وسكان مصر لهف قلبى على مصر
حكته دموعى حمرة وزيادة ... كما قد حكانى فى احتراق وفى كسر

وله يمتدح بعض الرؤساء:

وقاس الورى بالنيل نائلك الذى ... حلا وصفا والنيل يبدو مرونقا
فقلت ومن يتقاس من خلقه الوفا ... بمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

ابن الفقعسى فيه وأجاد:

ليهن أحبابى نيل وفى ... ومفرد وافى به مؤذنا
ما النيل إلا أدمعى بعدكم ... كلا ولا المفرد إلا أنا

وما ألطف قول المعمار:

قلت له لما وفى موعدى ... مختفيا من حاسد معتدى
رب كما فرحتنى بالوفا ... أسبل عليه الستر يا سيدى

وقال آخر:

وليلة عاش سرورى بها ... ومات من يحسدنا بالكمد
بت مع المعشوق فى روضة ... وبات من يرقبنا بالرمد

وقال القيراطى:

رشق الصب بالسهام رشيق مشتهى حسنه هو المعشوق

هو فى مصر روضة ومحيا وسيم يصبو إليها المشوق

وتلطف الصفدى:

قل للرقيب يسترح من رصدى ما أصبح المعشوق عندى مشتهى

وارتد قلبى عن سيوف لحظه وكل شىء بلغ الحد انتهى

ابن الصائغ الحنفى:

وليلة مرت لنا حلوة إن رمت تشبيهها لها عبتها

لا يبلغ الواصف فى وصفها حدا ولا يلقى لها منتهى

بت مع المعشوق فى روضة ونلت من خرطومه المشتهى

وقال القيراطى:

زربية أضحى لها المنتهى وحسنها المعشوق والمشتهى

وهى لمن حل بها روضة وجنة فيها الذى يشتهى

وأجاد من قال:

بدا الشعر فى الخد الذى كان مشتهى يبين للمعشوق حالى وما يخفى

وقد كانت الوجنات بالأمس روضة من الورد وهى الآن موردة الحلفا

وما أحسن ما قال الشيخ برهان الدين القيراطى فى زيادة النيل نثرا:

وأما النيل فإنه زاد نيله وتراكم سيله ولازم المعشوق ملازمة العاشق وقطع الطريق بكثرة مياهه وكاد يصل بارتفاعها إلى الطارق وتشبك بالخمس

أصابعه وأغـار على ما هنالك من الضياع الثلاث والعـدوية رابعة وتوجه إلى مصر فـعم جهاتها وما خـصص وأقام بدار النحاس ورصص وعقدت خـيامه بأذيال الجـبال الطنب وغـسل بمائه جاره الجنب، وأذاق الشـجر الأخـضر من محمر مائه الموت الأحمر.

وقال الشيخ جـمال الدين بن نباتة لا زالت مـبشرة المنازل بكل مبـهجه معطرة الأرجاء بكل سائرة أرجه ميسرة الأوقـات لمقدمتى سماع وعيان كلاهما لمسار منتجه مستحضرة فى معانى الكرم بكل دقيقة تشهد حتى بسطة النيل إنها أرفع درجة وينهى بعـد ثناء ما الروض بأعطر من شذاه ولا مـاء النيل وإ كرم وفاء بأوفى من جدواه وفاء النيل المبارك وحبذا من وفى موافى ومتغير المجرى وعيش البـلاد به العيش الصافى ووارد يرد من بعـد بعيد وجمـيل لا جرم أن مده ثابت ويزيد وجامـد إذا تدافع حيث تياره يقلد بره ودره من الأرض على كل جيـد وجائ إذا ذكر للخصب فى مكـان عيده المشهـود ألقى السمع وهو شهيد فـالبلاد جبرت بكسر خليجـه واستقامت أحوالها بتعـريجه وأثنت عليه بآلائه وسمت لونه الأصهب على رغم الصهبـاء بأحسن أسمائه وجعلت ماؤه قاهرا لهضبة كل سد ولم تسلطها على مـائه وخلق فملئت الدنيا بشائر مخلقة وعلق سترهخ فزكـا لونه التبرى عـلى معلقة وحـدث عن البحـر ولا حرج وانعرج على البقاع فلذلك يلوى معصمه فلله أوقات اللوى والمنعرج وستقرت الرعايا آمنين آملين وقطع دابر الجدب حـتى ظلمه فى هذه الدولة القاهرة وقل الحمد لله رب رب العالمين والله تعالى يملأ له بالمسرات صدرا ويضع بعدله عن الرعيـة إصرا ويسرهم فى أيامـه بكل وارد يقول الإحـسان لمتحـمله لو شئت لتخذت عليه أجرا.

وقال الشيخ تقى الدين بن حجة فسح الله فى أجله ويبدى لعلمه الكريم ظهور راية النيل الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة وخلق أصابعه ليزول الإبهام فأعلن المسلمون بالشهادة كسر بمسرى فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنيروزه وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى منصورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الإسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت بأعطاف غصونها إليه وشبب خريره فى الصعيد باقصب، ومد سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا إنه صبغ بفوه لما جاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد إلى الآثار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحتى عليه حنو المرضعات على الفطيم وأوشفه على ظما زلالا ألذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات وسقى الأرض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله إلى جنات النبت وأحيا له أمهات العصف والأب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقية ولبس الورد تشريفة وقال أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قوية.

ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به الشقواء فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الأشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب إليه الكبار وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد وليس شربوش الأترج وترفع إلى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الأرض بعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم بأقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالإفراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بمخلق بشائره وأشار بأصابعه إلى قتل المخل غباد الخصب لامتثال أوامره وحظى بالمعشوق ونال من كل أنية مناه فلا سكن فى البحر إلا تحرك ساكنه للمطالعة

بعد ما تفقه وأتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه إلى تقبيل فم الخرر وزاد مترعه فاستحلى المصريون زائده على الفـور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحيـاة فأقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فـى حلاوة شمائله فمـا شعر إلا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله.

وأما المحاسن قدارات دوائره على وجنـات الأرض عاطفه وثقلت أردافه على خصـور الجوارى فاضطربت كـالخائفة ومـال شيق النخيل إليـه فلثم ثغر طلعته وقتل سالفه وأمست سود السـفن كالحيات فى حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله فى حسناته فلا فقـير سد إلا حصل له منفيض نعمـائه فتوح ولا ميت خليج إلا عاش به ودبت فـيه الروح ولكنه احمرت عـيونه على الناس بزيادة وترفع.

فقال له المقـياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر أعـلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخرير زمـجره ورام أن يهـجم على غير بلاده فـبادر إليـه عزمنا المؤيدى وكسـره وقد آثرنا الجنان بهذه البـشرى التى قد عم فضلهـا بحرا وبرا وحدثناه عن البـحر ولا حرج وشـرحنا له حالا وصدرا ليـأخذ حظه من هذه البشـارة البحـرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيـبها نشـرا فقد حـملت له من طيبات ذلك النسيم أنفـاسا عاطرة والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفـة لسمعه الكريم ليـصيـر بهـا فى كل وقت مشـنفا ولا برح من نيلنـا المبارك وإنعـامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا.

وللشـيخ تقى الدين أيضًا جـواب عن وفـاء النيل وكتب به عن كـافل المملكة الشريفـة الحموية عقـيب رحيل اللنك عن البلاد الشـامية وحريقـها، وينهى ورود البشرى بوفاء النيل المبـارك الذى ما زاد إلا واستحلى الناس زائده

وانسى بزيادة كرمه كـرم ابن زائدة، وكانت زيادته صلة للبلاد الإسلامـية فلا برحت هذه الصلة فى كل عام على المسلمين عائدة، وامـتد بحره المديد فأزال زحاف المحل واتصلت بتلك المقاطعات دوائره وعمت بشائره الممالك وكيف لا وللوفاء عـمود من أصابعـه مخلق تمل الدنيا بشـائره، وأزال خطب الغلاء لما صعد خطيب وفائه على أعلى الدرج وأمسى الناس بهذا الوفاء وبقاء سلطانهم على كلا الحالين فى فرج وطارت سواجع بشائره فى الأوراق مبشرة باخضرار العيش وشبـاب الدهر واتصل سجعها المطرب بأكناف الفـرات وما وراء النهر وخر عاصى حماة طائعا ولا عاص إلا لهذه الدولة القاهرة مطيع.

ووردت هذه البشـرى فى صفر المبارك فاسـتبشر الناس بربيع فـيا له من صديق ما برحت الناس شاكرة حـسن وفائه ولا دخل عروس أرض عاطلة إلا حلاها بأقـراطه وخلاخل مائه ويا له من صالح مـا مر على يابس من الأرض إلا أخضر وأنار فإنه مستمـسك من النبى ﷺ بالآثار لقد كادت البلاد الشامية أن تطيـر فرحـة لولا أن قص الحريق جنـاحهـا وأفسـدت الغلوة بعد الحـريق صلاحها وفى البلاد وطفف ولا يقال له ويل للمطففين.

وقالت له البلاد المقحـطة من الشام أوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين والمرجو من كـرم الله تعالى أن يصلها ببره وبره ويبل ثغورها الناشفـة من ريق الغيث ولو بقطرة من بحره لأنه الطوفـان الذى يتلقاه الناس بالقبول لعلمـها أنها فيه من الآمنين وسـلام على نوح فى العالمين والله تعالى يجعل بشـائر هذه الدولة الشريفـة متصلة وضـدها فى قسـر ولا برح عدوها ونيلها على ممر السنين فى كسر انتهى رجع إلى النظم. قال تاج الملك:

انظر إلى النيل الذى ظهرت به آيات ربى
فكأنه فى فيضه دمعى وفى الخفقان قلبى

وقال غيره:

كان النيل فى التكدير عيشى وسرعة جرية عند انصرافى
ولكن لونه كسحيق مسك بماء الورد مضروب مداف

وقال آخر:

اشرب على غيم كصبح الدجى اضحك وجه الأرض لما بكى
وانظر لون النيل فى مده كأنما صندل أو مسكا

غيره:

انظر إلى النيل كيف يجرى كأنه ذائب الزجاج
تخاله أرض آبنوس كل من فوقه بعاج

كشاجم الكاتب:

كان النيل حين جرى تفصت به مصر وكسرت التراع
وأحدق بالقرى من كل وجه سموات كواكبها الضياع

الشيخ شمس الدين بن الصائغ:

سما النيل إذ يحكى السما فى انبساطه ... فلله ما أحلى وأصدقه حاكى
تسير به الأفلاك شرقا ومغربا ... وحافاته أيضًا تحف بأملاك

وركب الأمير تميم فى النيل متنزها فمر ببعض الطاقات المشرفة فسمع جارية تنشد شعرا:

فرعى الله أرض مصر وحيا ... ما مضى لى بمصر من أوقات
حبذا النيل والمراكب فيه ... مصعدات بنا ومنحدرات
هات زدنى من الحديث عن النيـ ... ـل ودعنى من دجلة وفرات
وليال بها الجزيرة والجيـ ... ـزة فيما اشتهيت من لذات
بين روض حكى ظهور الطواويس ... وجو حكى صدور البزات
حيث مجرى الخليج كالحية الرقشاء ... بين الرياض والجنات
ونديم كما تحب ظريف ... على كل ما تحب مواتى
كل شىء أردته فهو فيه ... حسن الذات كامل الأدوات
يا زمانى الذى مضى يا زمانى ... لك منى تواتر الزفرات

موشح للقاضى فخر الدين بن مكانس:

أنعم صباحا فى ظلال السعد ... واركب إلى الهزل جواد الجد
ولا تبع عاجله بنقد ... وخل نعت بازى وفهد

واستجلب الأنس بطرد الطرد

خد من خلاعاتى الكلام المعجبا فلم أزل عذيقها المرجبا

خل الطبيب واسأل المجربا إن الخلاعات طراز الأدبا

وإننى فيها نسيج وحدى

باكر إلى جزيرة الفيل التى تختال فى أفنانها كالجن

ولا تمل عن وجهها لوجهة صف حسنها لمائها والخضرة

وقف بشاطيها ولا تعدى

واجلس من المنية جنب الشاطى فى فرش الروض على بساط

فهى من التدبيج فى أمراط عروسة تختال بالأقراط

ومن لآلى نورها فى عقد

والتاج يعلو فوق هام الزهر والسبعة الوجوه ذات البشر

وكل برج حولها كقصر فى كل برج تم كل بدر

يحل منها كل برج سعدى

أوعجج على شبرا محل لاراح واعجب من الغبوق والصباح

إذ كاسها يغنى عن المصباح واعقد لبنت الكرم والأفراح

على نمير النيل أهنى عقد

وارم نثـــار الحـــبب النفـــيس علـى زفـــاف بكرهـا العـــروس

وقـــر بـالشـــمـــــى عين إبـليس واستهـدئ الخـمر مـن القسـوس

واشرب سلافا نقدها بالنقد

وانظر إلى أنـوار بئـــر البلسم فـهى سبـيل صـحتـى من سقـمى

لكونـهـا فـيـمـا يقـال تنتـمى إلى المسـيح السـيـد ابن مـريم

محيى بإذن الله ميت اللحد

بئـــر لهـا التـــعظيم والجـــلالة بدر أنـارت واســـتنـارت هالـة

أنموذج الـفـردوس لا مـــحـــالة فـــيـــهـــا عـلى الجنـة أى دلالة

تذكر الناس نعيم الخلد

أدواحـــهـا مـخـضلـة غنى بهـا على الـغـصـون بلبل غـنى بهـا

إذ ســـمـع المطرب مـن ربابـهـا والنبت فـى رياضـــه ربـابهـــا

من كل زوج بهج وفرد

واشـرب على بـحـر أبـى المنجـا فـهـو المأسـور الهـمـوم منجـا

ذو أرج بـه الســـــرور يرجـى فـشـعـب بوان لدى يـهـجى

من حسنه وسغد سمرقند

وانزل عـلى اليـمن مـن القنـاطر بسـتـان ملـك الأمـر أبهـادر

المـنـجـكـى الملـكـى الـظـاهـر كـهف العـلا مـهـد العـسـاكـر

من حين كان مرضعا فى المهد

فـذاك قـد زرعـتـه بنفـسى وكل مـا فيه الجـميع غـرسى

مـرتع غـزلانى وقـصـر أنسى سـرا فكالعـروس بعل العـرس

فلا يقاس طينه بالند

بـه اشلـقـيق تـاه ثـانى بـرده وخـاله الأسـود فـوق خـده

ربيـتـه كـوالد فى ولده وعـمـه مـالكه بسـعـده

فهو كريم الأب عالى الجد

يميس زهـوا فـى ريـاض الملبس مـا بين ورد ناضـر ونـرجس

والآس يعلو فى سـمـاء السندس يسـتـرق السـمـع بإذنى فـرس

لذاك تنقض نجوم الورد

لـم أنس بـزرتى بمـرج عـنبـر ومـقـطع الرمل رضـيع الكـوثر

ذى النور والطـير مـعـا والجـؤذر مع كل بدر لـلسرور مـشـتـرى

يقول هذا اليوم يوم سعدى

وفـتـيـة أحـبـة أعـزه تصـرع مـا يصـرعنا فى البـرزه

مـقـدمـات من مـدام مـزه لا صـرع كـركـى ولا أوزه

وخفق مزهر ولعب ونرد

أوتـارنا لـرمـينا يـا صـاح أوتار عـيـدان الغنا الـفـصـاح

والقـوس قـوس حـاجب الملاح والبـندق المسكى من الـتـفـاح

لست بخصم للألد اللد

حـيـا الرواويق بـحى من صـفـا أولئك الأشـبـاح إخـوان الصـفـا

بـين ربوع وغـــران تـصـطفـى حـسـبـى لقـاتلك المغـانى وكـفى

معاهد ألهمت فيها رشدى

وأجل بـهـا قـديمة الـعـهـود تخـبـر عن عـاد وعن ثمـود

صـافـيـة كـمـقلة الفـريد أرق من دمع شج عـمـيـد

عذبه حبيبه بالصد

مـا أصطبح الـشيخ بهـا وطابا إلا اشـتـهى من وقـتـه الشـبـابا

فـقل لمن نقـصـهـا وعـابا لقـد عـدمت الـذوق والصـوابا

وقد عريت عن ثياب المجد

فـيـا فـبـيـا ليس يدرى سـرها دعـه لنا فـمـا عـرفت قـدرها

واسـتـفـتنى فـيـهـا لأبدى أمـرها فـقـد بلوت حلـوها ومـرها

وهو على الحالين حلو عندى

فـمـرهـا كـالمسك حشـو الفلفل والزنجـبـيـل ديف بالقـرنـفل

وحلـوها عـلى الـندامى ينـجلـى كـالشـهـد ممزوجـا بماء الـسلسل

ذاك الذى أمسى حبيب كبدى

فـلـيس مـن نرجـوه لـلفـلاح إلا فـتى عـاص عن النصـاح

لم يخل وقـتـا سـمـعـه من لاح ولـم تعـطـل راحـة مـن راح

إن أعوز الصفو يكون دردى

تخـال إذ تطـلع نحـو الجـوسق فى بـركـة الحـبش أوان الملق
للبـحـر يمشى والنجـوم تـرتقى أبيـض سـام قـدره كـالأبلق

مجموع حسن يزدهى بالفرد

ألـم يـرق منـظـرك البـريم إذ سـار بـدر نحـوه وريم
واخـضـر خـد الجيـزة الرقـيم ووجـهـا بين الربـا وسـيم

موشح من نجمه فى برد

كم غـادة فـيـهـا بقلبى ولعت من بـدويات الـعـريب أبـدعت
سـافـرة بالحسن قـد تبرقـعت لم أنسـهـا وقـولهـا إذ ودعت

كيف تكون بعدنا يا بعدى

فـقلت قـبل البين كـبـدى انفطر وعـبـرتـى بهـا البـرايا اعـتـبـرت
فـانسكبت دمـوعـهـا وابتـدرت فـخـلتـهـن لؤلؤات نـثـرت

فى جلنار أو ندى فى ورد

ازجـهـا مـعـرق كـالـنون ولحظهـا فـاق عـيـون العين
سـعى إليـهـا مـذهبى ودينى وذاك عنـدى من فـروض العين

وللفروض أى حفظ عهد

تـقـول لحظى مـن بنى سنـان ينبـيـك عنمـقـاتل الفـرسـان
فـاله به عـن مـوقـف الطعـان وإن ذكـرت الخـيل فـى الميـدان

فاشرب كميتا واعل فوق نهدى

من قـدها وريقـهـا الشـمـول أهيم بـالعـسـال والمعـسـول

وجـفـنهـا الـغـزال فى الـذبول واحـربا من سيـفـه الصقـيل

جاوز فى قتلى كل حد

وشـادن كـالسـمـهـرى تركى عـذبنى مـيـسـا بغـيـر شك

يعطـو أريحـا كـغـزال المسك آس عـذاريـه أبادنسكى

وجلنار الخد جل قصدى

بدر دجى هالتـه شـربوشـه بعـارض تـذهيـبـهِ تدهيـشـه

راقـمـه صـحت له نقـوشـه يبـرى عظامى كلمـا يريشـه

وردفه الجافى يأبى رفدى

جـبـينه بـالشبت كـالهـلال وفـرقـه فـيـه الخـلاف العـالى

أضـوء برق أم سنـا لآلى ولحـظـه مـظـنـة الأشـكـال

هل هو تركى والا هندى

اسـمـر إن عـاين غـصن البـان قـال اسـتـقم فـأنت ذو ألوان

ينبـيك فى النـقع الوسـيم ألوانى وليس لبى فى قـامـتى من ثـانى

فلا تقايسنى فلست قدى

من ثـغـره الحلو لـلمـا ولـريق ولحـظه المرنق المعـشـوق

الـتـذ بالسكـر والـتـرنيق ولا تسل عـن خـصـره الدقـيق

قد حل صبرى منه عقد البند

كم قلت إذ بالغ فى أطراحى يا ربربا يفتر عن أقاحى

ويكشف اللثام عن مصباح ويمزج الراح لنا بالراح

من ريقه دام الهنا بالشهد

خليع عشقى فى الهوى جددته بسهم لحظ راشق سددته

وخدى المظلوم قد خددته بسائل الدمع الذى رددته

نهر جرى أخدوده بخدى

يا قمرا من ريقه البرود وحمرة التضريج فى الخدود

اشتاق فى الحالين للورود أمنن بوعدى واطرح وعيدى

وقل من هذا الجفا والصدا

أملى عليك يا منى آمالى قول الشجى لا أمال القالى

بأننى أصبحت كالخيال والروح فى جسمى النحيل البالى

مثل الأثير موثقا بالقد

فإن تصلنى فأنا السعيد أومت قيل إننى شهيد

إن طلبوا ثارى ولم تجودوا قل أنا حر بالغ رشيد

وابن مكانس القتيل عبدى

فإن قومى يعرفون ذا كا وابنى رعاه ربه يرعاكا

وإخوتى لو عاينوا الهلاكا كانوا له من الرد أفداكا

يرعون فيك ذمتى وعهدى

فـــارم من الـلحظ ولا تبـــالى عن قـوس حـاجـبـيك بالنبـال

فـــأنت عنـدى منتـــهى أمـــالى فـاقـتـل عـزيز القـوم بالدلال

وكل قتال خلاف الصد

فـــالحـــر لا يـقـــتـل بالمملوك فـــأنت فـى حل بـلا تشـكيـك

يا قـــاتلـى من دمى المســـفـــوك ومن تلاف جـــســـمى المنـهـوك

فلا تخف من أن تدى أو تفدى

وعـــاذل قـــد جـاءنـى مـفـندا بلـغنـى رســـالة عـن العـــدا

يبـغى بهـا للعـاشـقين الرشـدا ولسـت من يقـــبل عـــذلا أبدا

فقلت مه واقنع بهذا الرد

إنى بـعـــثت للـعـــدا رســـولى أخـبـــرهم أن العـذا رســـولى

مـا أنت والتـفنيـذ يـا فـضـولى فـــقـــال أذنـبت وليـس قـــولى

فقلت تودى القلب أو تؤدى

إنى أهـيم بالـنسـا كـــالحـــور والمـرد والمـعـــــــذر الـطـريـر

والأســود اللـحـيـة والزرزورى والشـيخ رب العارض الكافـورى

والحمد لله ولى الحمد

الباب الحادى والعشرون
فى مفترجات بقية البلدان على اختلاف أنواعها

اجمع جواب أقطار الأرض على أن منتزهات الدنيا أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الأبلة وغوطة دمشق.

قال أبو بكر الخوارزمى قد رأيتها كلها فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الأربع على غيرهن كأنها الجنة صورت على وجه الأرض.

فأما السغد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر ما مقداره اثنا عشر فرسخا فى مثلها.

وأما الشعب فبقعة من نواحى كورة سابور مقدارها فرسخان قد أتحفتها الأشجار ظلالها وجاست الأنهار خلالها وهو لبوان بن برخ بن أفريدون وفيه يقول المتنبى: **مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان**

وهى قصيدة طويلة.

وأما نهر الأبلة فهو من أعمال البصرة وطوله أربعة فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد وضع على خط مستقيم وكأن أشجاره غرست فى يوم واحد.

وأما الغوطة فهى من حيز دمشق وطولها مقدار ثلاثي ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا يكاد أن يقع للشمس على أرضها شعاع لالتفاف أشجارها واكتناف أنهارها وللشعراء فى وصفها قصائد كثيرة أضربت عن ذكرها خوف الإطالة.

روى عن كعب الأحبار أنه قال غوطة دمشق بستان الله فى أرضه.

قال الشيخ بدر الدين محمد الدمامينى عند دخوله إليها فتأملها المملوك فإذا هى جنة ذات ربوة وقرار معين وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن

الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق بينها وبين ما سواها والأنهار التى إذا ذكر قبل المحل فما أجراها وإذا سمع حديث الخصب فما أرواها وما أقول إلا منتزهات مصر عارية من المحاسن وهذه ذات الكسوة ولا أن النيل احترق إلا من الأسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود إلى تلك الربوة ولا أظنه احمر إلا خجلا من صفاء أنهارها ولا ناله الكسر إلا لتأله بالانقطاع عن الوصول إلى سقى أزهارها ولو رأى العاشق جهتها لسلا بمصر معشوقه ونسى ظهور جواريه المنحنية بقامات غصونها الممشوقة ولو تطاولت المجنونة إلى المفاخرة لتأخرت إلى خلفها متخيلة وأحجمت عن الإقدام حيث تحركت لها بدمشق السلسلة وحق لمصر أن لا تجرى حديث المفاخرة فى وهمها وإن تتقى شر المنازعة قبل أن يصاب من تلك البلدة بسهمها فسقى الله منتزهاتها التى طرب المملوك برؤية جنكها وطالما اهتزت له المعاطف عى السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجلد فانعقد على حلاوة سكره الإجماع تروع حصاه حالية العذار فيلمس جانب العقد النظيم وأحسن الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيدة:

اشتاق فى وادى دمشق معهدا ... كل الجمال إلى حماه ينسب

ما فيه إلا روضة أو جوسق ... أو جدول أو بلبل أو ربرب

وكأن ذاك النهر فيه معصم ... بيد النسيم منقش ومكتب

وإذا تكسر ماؤه أبصرته ... فى الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت ... بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تشدو والنسيم مشبب ... والنهر يسقى والحدائق تشرب

وحلت بقلبى من أعالى جنة ... فيها لأرباب الخلاعة ملعب

ولكم طربت على السماع بجنكها ... وغدا بربوتها اللسان يشبب

فمتى أزور معالما أبوابها ... بسماحها كتب الكرام تبوب

ابن تميم:

رعى الله وادى النيرين فإننى ... قطعت به يوما لذيذا من العمر

درى إنى قد جئته متنزها ... فمد لتلقاءى بساطا من الزهر

وأخدمنى الماء القراح فحيثما ... ذهبت رأيت الماء فى خدمتى يجرى

علاء الدين الوداعى:

يا ربوة أطربتنى ... وحسنت لى هتكى

إذ لست أبرح فيها ... ما بين دف وجنك

أخذه ابن نباتة فقال:

بالجنك من مغنى دمشق حمائم ... فى دف أشجار تشوق بلطفها

فإذا أشار له الشجى بكأسها ... غنت عليه بجنكها وبدفها

وتبعه الصلاح الصفدى فقال:

انهض إلى الربوة مستمتعا ... تجد من اللذة ما يكفى

فالطير قد غنى على عوده ... فى الروض بين الجنك والدف

ابن خطيب داريا وأجاد:

سألتكما إن جئتما الشام بكرة ... وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا

قف واقرأ منى كتابا كتبته ... بدمعى لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

شيخ الشيوخ الأنصارى:

قالوا أما فى جلق نزهة ... تنسيك ما أنت به مغرى

يا عاذلى دونك من لحظه ... سهما ومن عارضه سطرا

الشيخ تقى الدين بن حجة فى غيضة ست الشام:

تقـــول ست الشـــام لما غـــازلت بعـينهـــا فـأنـعـشت حـيـاتى

وأنعـــشت بمرجـــهـــا وأبرزت هـذا حـــــلا لأنه نـبـــــاتى

واستـــجلنى عـــروسة يتـيـمة شـــامـــيـــة وعش بلا حـمـــاة

القاضى علاء الدين بن غانم فى حماة:

حـمـــاة فـى بهـجـتـهـــا جنة فـــــهى مـن الـهـم لنـا جـنـة

لا تيـأســـوا من رحـــمـة الله قـد أبصـــرتم الـعـــاصـى فى الجـنة

بدر الدين حسن بن حبيب فى جزيرة حمص:

جزيرة حمص كعبة اللهو أصبحت يطوف بها دران ويسعى لها قاصى

ولكنهـــا اللهـــو والقـصف حـــانة ألم تنظروها كـيف جاورها العـاصى

الشيخ تقى الدين بن حجة معارضا له:

ذكـــرت أحـــبـــتى بالمرج يـومـــا فـقـــوت أدمـعـى نيـران وهجى

وصـرت أكـابد الأحـزان وحـدى وكـل النـاس فى هـرج ومـــــرج

وله فسح الله فى مدته فى المرج وهو بالشام بظاهر سليمه:

مـــرج حـــمـــاة نواعـــيـــره زادت على المقـيـاس فى روضـتـه

واغـــتـــاظ غـــور دمـــشـق لذا فـقلت لا أفكـر فى غـيـضـتـه

ابن الوردى

عليك بصـهـوة الشـهـبـاء تكفى بجـوشنـهـا مـحـاربة الزمـان

فللغـــرفـات فى الفـــردوس طيب يفـــوح شـــذاه من باب الجـنان

الباب الثانى والعشرون
فى النسيم ولطافته

والنسيم هى الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين يقبل بلين قبل اشتدادها ومنه الحديث بعثت فى نسيم الساعة، أى حين ابتدأت وأقبلت وما أحسن قول بعضهم نسيم الريح نسيب الروح والرياح المعروفة أربع الصبا وتسمى القبول وهى تنفس عن المكروب والجنوب وهى تجمع السحاب والشمال وهى تقصره وتفرقه والدبور وهى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى القاصف والصرصر وكل ما فى القرآن من لفظ الريح فالمراد به الدبور ولازمها العقوبة وكل ما فيه من لفظ الرياح فهى راجعة إلى الثلاثة الأول ويراد بها الرحمة ومنه الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الرياح ثمانية أربع فى الجهات الأربع، وأربع تسمى النكباء لميلها ونكبها عن الجهات الأربع، والشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق فهبوبها من تحت بنات نعش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر تشد الأعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة فى الباطن فينهضم الغذاء ويصفو بها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال وهى قليلة الهبوب ليلا وكان الصاحب بن عباد يترنم بقول أبى نواس:

هبت لنا ريح شمالية ... مستت إلى القلب بأسباب

أدت رسالات الهوا بيننا ... عرفتها من بين أصحابى

قلت والله الصاحب بن عباد لمعذور فإن هذا مما يريح الجماد وتجمع الشمال على شمائل ولذلك يحسن فيه التورية.

ومنه قول الشيخ تقى الدين بن حجة:

جـــاد الـنســـيم على الربـا　　بـنـدى يـذيـه وقـــــال لـى

أنا مـــا أقـــصِـــر عـن ندى　　وكلـمـا عـلمت شـــمـــائـلى

والصبـا تهب من مطلع الشـمس وتسمى القـبل ويقابلهـا الدبور وهى معـتدلة ولا سـيمـا إن هبت قبل طلوع الشـمس فى زمن الربيع وهى لطيـفة صافية وتزكى الأذهان وتنفع الأبدان وتبسط الأخـلاق لا سيما إن مرت بمروج الأزهار فإنها تحمل قواها إلى القلب والدماغ وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

وصبـا أتت من قاسـيون فـسكتت　　بهبـوبهـا وصب الفـؤاد البـالى

خـاضت مـيـاه النيـرين عـشـيـة　　وأتـتـك وهـى بـلـيـلـة الأذيـال

وقال بدر الدين الزغارى:

سرت من بعيد الدار لى نسـمة الصبا　　وقد أصبحت حسـرى من السير ضالعه

ومن عـرق مـبلولة الجـيب بالندى　　ومن تعب أنفـاسـهـا مـتـتـاعـبـه

الموصلى:

رب نسـيم قـد سـرى　　يحـدوا سـحـابـا ممطرا

أذيـالـه بـلـيـلـة　　تخـبـرنا بما جـرى

وقال مهيار الديلمى:

حـملـوا ريح الصبـا من نـشـركم　　قـبل أن تحـمل شـيـحـا وخـزامى

وابعـثـوا لى فى الـدجـا طيـفكم　　إن أذنتـم لعـيـونى أن تـنامـا

القاضى الفاضل:

يا لمعة البرق بل يا هبة الريح روحى بجسمى إلى من عنده روحى
خذى لهم من سلامى عنبر أعبقا وأوقديه بنار من تباريحى
ناشدتك الله إلا كنت مخبرة عنى بأنهم ذكرى وتسبيحى

الصاحب بن بدر الدين:

أسكرتم ريح الصبا بالشذا حتى أذاعت سرنا بالبطاح
لا تعتبوها إذ أذاعت هوى فما على السكرى بهذا جناح

الشهاب الحاجبى:

لا تبعثوا غير الصبا بتحية ما طاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت نشرا فيا لله ما زكاها

الصفدى:

يا طيب نشر هب لى من أرضكم فأثار كامن لوعتى وتهتكى
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم وروى شذاكم إن ذا نشر زكى

وقال ابن أبى حجلة فى الصفدى:

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه فى الريح

وتلطف بعض العشاق:

ألا يا نسيم الريح مالك كلما تدانيت منا زاد نشرك طيبا
أظن سليمى خبرت بسقامنا فأعطتك ياها فجئت طبيبا

ابن نباتة:

يداوى أسى العشاق من نحو أرضكم نسيم صبا أضحى عليه قبول

بروحى من ذاك النسيم إذا سرى طبيب يداوى الناس وهو عليل

مؤلفه:

ولهفى لروض قد تكسر ماؤه وجدوله صب به وغديره

وأمسى نسيم الروض فى فرش الربا عليلا فقم نسعى له ونزوره

السراج الوراق:

ويوم قيظ أذاب جسمى والماء لم يشف لى غليلا

قد صخ موث النسيم فيه وكان عهدى به عليلا

ابن قرناص:

أظن نسيم الروض والزهر قد روى حديثا فطابت من شذاه المسالك

وقال دنا فصل لربيع فكله ثغور لما قال النسيم ضواحك

جمال الدين بن نباتة:

أهلا بسائرة الصبا نم نحوكم وبما عهدنا من تعاهد طولها

أملت على الزهر المقطب ذكركم حتى تبسم ضاحكا من قولها

الأمير درياس:

والنهر قد عشق الغصون فلم يزل أبدا يمثل شخصها فى قلبه

حتى إذا فطن النسيم فجاءها عن غيرة فأمالها من قربه

وغدا عليه مهيمنا بعتابه سرا فجعد وجهه من عتبه

الشريف الناسخ:

شغف النهر بالغصون فأضحت مائلات فى قلبه والصميم
وأتتها رسل النسيم فمالت لحديث من بعد عهد قديم

ابن قرناص مفرد:

تثنى الغصن أعراضا وعجبا على نهر يذوب أسى عليه

أيضًا:

وتجمع بينها من بعد بعد وأوراق الغصون لها إزار
وتخفق غيرة عند التلاقى فهل أبصرت قوادا يغار

وحكى أن نور الدين على بن سعيد الأندلسى صاحب المرقص والمطرب خرج مع جماعة من الأدباء المصريين فى بعض المتنزهات وكان فيهم أبو الحسين الجزار فمروا بمليح نائم تحت شجرة وقد هب النسيم وأزال أثوابه عن بدنه وظهرت أعكانه وأردافه، فقال أبو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى هذا شيئًا فما لبث أن قال ابن سعيد شعرا:

الريح أقود ما يكون لأنها تبدى خبايا الردف والأعكان
فلذلك العشاق يتخذونها رسلا إلى الأحباب والأوطان

قال أبو الحسين ما فى طاقة أحد منا أن يأتى بما قلت أو مثله، ثم مضوا غيره:

أنا أهوى غصن النقا وهواه وفؤادى يحبه فى إليه
يا نسيم الصبا ترفق عليه وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس إلا ك أمين فى حملها ارتضيه

وما ألطف قول السراج الوراق وإن لم يكن مما نحن فيه:

قلت للأهيف الذى فضح الغصـ ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

وقال آخر:

لقد غرس القضيب على كثيب فأينع بالمساء وبالصباح
ومال مع الوشاة ولا عجيب لغصن أن يميل مع الرياح

الطغرائى:

بالله يا ريح إن مكنت ثانية من صدغه فأقيمى فيه واسترى
وراقنى غفلة منه لتنتهرى لى فرصة وتعودى منه بالظفر
وباكرى ورد عذب من مقبله تقابل الطعم بين الطيب والخصر
وإ قدرت على تشويش طرته فشوشيها ولا تبقى ولا تذرى
ولا تمسى عذاريه فتتضحى بنفحة المسك بين الورد والصدر
ثم اسلكى بين برديه على مهل واستصحبى الطيب وأتينى على قدر
ونبهينى دوين القوم وانقضى على والليل فى شك من السحر
لعل نفحة طيب منك ثانية تفضى لبانة قلب عاقر الوطر

علاء الدين الجوينى:

لله مبيتنا بضوء القمر والحب نديمنا وصوت الوتر
إذ عرف بيننا نسيم سحر ما أبرد ما جاء نسيم السحر

العلامة بن حجة:

بالله يا برق إن أومضت فى السحر وحارس اللحظ فى شك من الخبر

قف بالثنيات واذكرنى إذا عذبت منيهلات عذيب الثغر فى السحر

وقال بعضهم:

أيا نفحة أهدت إلى تحية ينم عليها العرف من أم سالم

مشت فى أراك الواديين فنبهت به كل نسوان المعاطف ناعم

وحكى الأصمعى: قال كانت امرأة من العرب تأتى بصبية لها كل يوم قبل الصبح فتقف بهم على تل عال وتقول أى بنى خذوا صفو هذا النسيم قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها.

وروى المرزبان بإسناده أن مجنون ليلى خرج مع أصحاب له ليمتاروا من وادى القرى فمروا بجبلى نعمان فقالوا له إن هذين جبلا نعمان اللذان كانت ليلى تنزلهما، قال فيأ ريح تهب من نحو أرضها إلى هذا المكان فقالوا الصبا قال فوالله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا لهم وله ثم أتوا فحبسهم حتى هبت الصبا فرحل معهم وفى ذلك يقول:

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

أجد بردها أرتشف منى حرارتى على كبد لم يبق إلا صميمها

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

قيل كان لابن الجوزى زوجة تسمى نسيم الصبا وكان يحبها حبا شديداً فاتفق أنه طلقها فحصل له قلق شديد وهيام وكاد يشرف به على التلف

فحضـرت فى بعض الأيام مجلس وعظه فسر بهـا واستبشـر فاتفق أن جاءت امرأتان وجلستا أمامه فحالتا بينه وبينها فأنشد:

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

فانظر إلى حسن هذه الاستعارة من الشيخ كيف كنى عن ثقلهما بالجبلين وألطف من ذلك ما ذكره الشـيخ بدر الدين حسن بن زفر الأربلى المتطيب فى كتـاب روضة الجلـيس ونزهة الأنيس عن بعض الرؤساء قـال أخبـرنى بعض الأصحـاب قال كنت يومـا جالسا عند صـديق لى بالموصل إذ جاءه كـتاب ن بغداد من صديق له فيه تشويق وعتاب من جملته بيت:

تناسيتم العهد القديم كأننا على جبلى نعمان لم نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت له بالله عليك إلا ما صدقتنى بمحبوبتك هذه كنت تأتيها من وراء الدار قال أى والله ومن أين علمت ذلك؟ قال قلت من هذا البـيت لأنها ذكرتك فيه بجـبلى نعمان وجبـلا نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن جانبى كفل المليـحة والمليح، فقال والله ما أدركت من هذا البيت ما أدركته.

* * *

الباب الثالث والعشرون
فى غناء الحمائم وحمائم الرسائل

قال الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

تغنت فى ذرى الأوراق ورق ... ففى الأفنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجبا ... وبالأكمام قد رقصت غصون

كشاجم وقيل لأبى الحسين البديهى:

وفضل فيه للأرض اختيال ... كأن جميع ما لبست حرير
فللأغصان من طرف تثن ... إذا مالت تغنيها الطيور

وأجاد بدر الدين الذهبى بقوله:

ورياض رقصت أزهارها ... فتمشت نسمة الريح إليها
طالعت شمس الضحى أوراقها ... بعد ما إن وقع الورق عليها

جحظة البرمكى:

ألا فاسقنيها قهوة بابلية ... تحاكى شعاع الشمس بل هى أفضل
فقد نطق القمرى بعد سكوته ... ووافى كتاب الورد إنى مقبل

وقال آخر:

له نغمات تورث الحزن والأسى ... وتدمع أجفان العيون الفواتر
ويفعل بالأكباد ترجيع صوته ... وتغريده فعل السيوف البواتر

ابن المعتز:

وصوت حمامة سجعت بليل وقد حنت إلى ألف بعيد
فما زلنا نقول لها أعيدى وللساقى الأهل من مزيد

ابن نباتة:

مالى نديم سوى ورقاء ساجعة من بعد مغتيقى فيكم ومصطبحى
إذا أدار ادكار الوصل لى قدحا من أحمر الدمع غنتنى على قدحى

القيراطى:

تنفس الصبح فجاءت لنا من نحوه الأنفاس مسكية
وأطربت فى العود قمرية وكيف لا تطرب عودية

عز الدين الموصلى:

تخيرت رسلا سرنا عندهم حقا إليكم وتلك الرسل فهى الحمائم
إذا قدمت منى عليكم فيا لها خوافى سر حملتها قوادم

ابن قرناص فى تغريد الشحرور:

يا حسنها من أيكة شحرورها أضحى يرقق كل قلب قاسى
فكأنها لما علاها منبر فيه خطيب من بنى العباس

وقال آخر:

وروضة رقصت أغصانها وشدت أطيارها وتولى سقيها السحب
وظل شحرورها الغريد يحسبه أسود ازامرا مزماره ذهب

غيره:

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى فوق الغصون طروب
تجاوب ورقا قد أنسن على البكا فكل لكل مسعد ومجيب

الجناب البلدى:

ذرى شجر للطير فيه تشاجر كأن صنوف النور فيه جواهر
كأن القمارى والبلابل وسطها قيان وأوراق الغصون منابر

وقال آخر:

والأرض فى حلل قد كاد يحرقها توقد النار لولا ماؤها الجارى
والطير فى ورق الأشجار شادية كأنهن قيان خلف أستار

ابن قلاقس:

والورق فى الأوراق قد هتفت على عذب الغصون بأعذب الألحان
فكان أوراق الغصون ستائر وكأن أصوات الطيور أغانى

ابن حبيب:

لم أنس بستانا حللنا به يكاد عن حسن حبيبى ينوب
والورق فى أوراق أغصانه تجذب بالأطواق منا القلوب

حسام الدين الحاجرى:

إنى لأعذر فى الأراك حمامة الـ ـشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى بأسرها فغدت وفى أعناقها الأطواق

الشيخ تقى الدين بن حجة:

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت دمعي تلون بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت فغدت مطوقة بما بخلت به

الشيخ بدر الدين بن الصاحب:

ناحت حمام البان بايقة الأسى لم أدر ما غناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى لأنها منوقة من طوقها

أحسن منه:

وذات طوق على الأغصان تذكرني قوام حسنك في ضمي لمعتنقك
قد سودت مهجتي نوحا فقلت لها سواد قلبي يا ورقاء في عنقك

الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي من أبيات:

وهاتفة في البان تملي غرامها علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تتلوا الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية ألفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

محيي الدين بن عبد الظاهر:

نسب الناس للحمامة حزنا وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيـ ـد وغنت وما الحزين كذلك

ابن صاحب تكريت:

تحملت يا برق اشتياقي إلى الحمى فأنت كقلبي من غرامي تخفق
وما أنت يا ورقاء مثلي حزينة ولو كنت ما كان الجناح يصفق

الحلى:

وبشـــرت بوفـاة الليـل سـاجـعـة ... لأنها فى غـدير الصبح قد سـبحت

مـخضـوبة الكف مـا تنفك نائحـة ... كـأن أفـراخهـا فى كـفـهـا ذبحت

ابن حصن كاتب المعتضد بن عباد:

ومـا هاجنى إلا ابـن ورقـاء هاتف ... علـى فنن بين الجـــزيرة والـنهـــر

مـفـسـتق طـوق لازوردى كلكل ... موشى الحلى أحوى الـقوادم والظهر

أدار على اليـاقـــوت أجـفـان لؤلؤ ... وصاغ على الأجفان طوقا من التبر

حـديـث شـبـا المنقـار داج كـأنه ... شـبـا قلم من فـضة مـد من حـبـر

ولما رأى دمـــعـى مـــراقـــا أرابه ... بكاءى فاستولى على غـصن نضر

وحث جنـاحـيـه وصـفـق طائرا ... وطار بقلبـى حـيث طار ولا أدرى

وقال آخر:

أهاجك بالتـغـريـد والليل عـاكف ... حـمائم ورق فى دجـا الليل هاتف

تنوح فـتـحـيى المستهـام بنوحـهـا ... وتشكو الهوى إذ غـاب عنها الموالف

عـرفت بـسـرى سـرها ويغـربتى ... تغـر بهـا والشكل بالشكل عـارف

علـى أنهـا لـم تدر مـا بـى وإنما ... قلوب الورى فى الملتـقى تتعـارف

وقال آخر:

رب ورقـاء هـتـوف فى الضـحى ... ذات شـجـو صـدحـت فى فنن

ذكـــرت ألف ودهرا صـــالحـــا ... فـبكت حـزنا فـهـاجت حـزنى

فـــبكائى ربما أرقـــهـــا ... ويـــكـــاهـــا ربمـــا أرقـــنـــى

وإذا تبـــدؤنى أســـعـــدها وإذا أبـدؤها تســـعـــدنى
ولقـد أشكو فـمـا أفـهـمـهـا ولقـد تشكو فـمـا تفـهـمنى
غـيـر إنى بالجـوى أعـرفـهـا وهى أيضًـا بالجـوى تعـرفـنى

بدر الدين يوسف الذهبى:

أبدى حـمـام الأيك شـجـوا فناح ولم يطق كـتـمـان وجد فـبـاح
أعـرب عن أشـجـانه سـحـرة فـصـاح عن ألحـان شوق فـصـاح
ولـيـس مـن نـاح عـلـى أيـكـة كـمـن غـدا من دمـعـه فى نـبـاح
وهبـه قـد قـاسـمـنى مـا ألا قـيـه من الوجـد وطول النبـاح
أليس إنى قـد كـتـمـت الذى مـا بى مـن سكر هوى وهـو باح
مـاذا عـلى طائـر أيك الحـمـى تبليغ مـا بى مـن جـوى والنيـاح
ومـا عـليـه مـن جناح إذا أعـارنى نحـو حـبـيبى جناح
لنا حـديث يا حـمـام الحـمى توضـحـه الأشجـان أى تضـاح
ألفـت غـصنا وأنا فـى الهـوى فـقـد غـصنا فـأطلنا النواح
فـهـات طارحنى فكل غـدا منا على غـصن تـغنى وناح

الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

ولقـد رأيت على الأراك حـمـامـة تبكى وسـتـعـدنى على أحـزانى
تبكى عـلى غـصن واندب قـامـة فـجـمـيـعنا يبكى على الأغـصـان
تخـشى من الأوتـار فـهى مـروعـة منهـا فكـم غنت على العـيـدان

وقال أيضًا:

وهيجنى عصفورة فوق أيكة ... تصارح شجوى بالحنين المرجع
تنام وقبل الصبح تبكى هنيهة ... ولو علمت ما قصتى سهرت معى
وأنت ضلوعى حين غنت وغردت ... وأين الغنا من رنة المتوجع
أخلاى لو ساعدتمونى على الأسى ... لما قلت للورقاء فى الأيك رجعى

بدر الدين الذهبى وأجاد:

وتنبهت ذات الجناح بسحرة ... بالوادين فنبهت أشواقى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن ... يعقوب والألحان عن إسحاق
قامت تطارحنى الغرام جهالة ... من دون صحبى بالحمى ورفاقى
إنى تبارينى جوى وصبابة ... وكآبة وأسى وفيض مآقى
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى ... وهى التى تملى من الأرواق

وأبدع الشيخ علاء الدين الوداعى:

وفى أسانيد الأراك حافظ ... للعهد يروى صبره عن علقمة
وكلما ناحت به حمامة ... روى حديث دمعه عن عكرمة
وعكرمة من أسماء الحمامة ولذلك ... حسنت التورية بعد تورية علقمة
لم أنس قول الورق وهى حبيسة ... والعيش منها قد أقام منغصا
قد كنت ألبس من غصونى خضرا ... فلبست منها بعد ذاك مقفصا

وما ألطف قول ابن تميم فى الطير المحبوس فى القفص:

أنا للطائر سجن ... اقتنى كل مليح
قضب البان ضلوعى ... وحمام الأيك روحى

فصل فى حمائم الرسائل

قال القاضى الفاضل سرحت لا تزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والأقلام أسلحة وتحمل من الأبار ما تحمله الضمائر وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر وتزوى لها الأرض حتى ترى ما سيبلغه ملك الأمة وتقرب منها السماء حتى ما لا يبلغفه وهم ولا همة وتكون مراكب الأغراض والأجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا تصطفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الجناحات على أعجازها ولا تصرف الأرداث عن إنجازها ومن بلاغات البطائق ما هى مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهى إليها دائمة الرجع، وقد سكنت النجوم فهى أنجم وأعدت فى كنانتها فهى للحاجات كالأسهم وكادت تكون ملائكة لأنها رسل إذا نيطت بها الرقاع صارت إلى أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود أداء الأمانة أطواقا وأدتها من أذنابها أوراقا فصارت خوافى وراء الخوافى ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ أنجم السعود وهى أنبياء الطير لكثرة ما تأتى به من الأنباء وخطبائها لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء.

قال الشيخ تقى الدين بن حجة فسح الله فى أجله: سرح فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة وطلب السبق فلم يرض مغرق البرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقولة وهم جواد النسيم عاريا فقصر وأمست أذياله بعرق السحب مبلولة وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه المصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه، فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدى مخلق يؤدى ما على يده من حسن الترسل فيهيج الأشواق وما برحت الحمائم تحسن الأداء فى الأوراق وصحبناه على الهدى فقال ما ضل صاحبكم وما غوى، وما روى عنه حديث هذا الفصل.

فعن عـكرمة روى يطير مـع الهوى لفرط صـلاحه ولم يبق علـى السر المصون جناح إذا دخل تحت جناحـه وإن برز من مقفصـه لم يبق لطرح البرد قيـمه بل يتغزل فى أطواقـه وتعلق عليه من العين تلك التـميمة مـا سجن إلا صبر على السجن وضيقة الأطواق ولهذا حمدنا عاقبته على الإطلاق ولا غنى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو إلا كان سهما مريشا تبغ به الأغراض كم علا فصار بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس، وأمسى عند الهبوط لعين الهلال النعلية كالطمس فهو الطائر الميمون والغايـة السباقـة والأمين الذى إذا أودع أسرار الملوك حـملها بطاقـة وهو من الطيور التى خلا لها الجـو فنقرت ما شاءت من حبات النجـوم والعجماء التى من أخذ عنها سرح المعلقات، فقد أعرب عن دقـائق المفهوم والمقدمة والنتيجة للكتاب الحجلى فى منطق الطير وهى من جملة الكتاب الذى إذا وصل القارئ منه إلى الفتح تهلل منه بفاتحـة الخير أن تصدر البازى بغيـر علم فكم جمعت بين طرفى كتاب وإن سألت العقبان عن بديع السجع أحجمت عن رد الجواب شعر:

رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ما قدمت إلا وأرتنا من شـمائلها اللطيفة فنعم القـادمة وأظهرت لنا من تلك الخوافى ما كانت له خير كائمة كم أهدت من مخلقها وهى غادية رائحة، وكم حنت إليها الجـوارح وهى أدام الله إطلاقها غيـر جارحة وكم أدارت من كؤوس السجع مـا هو أرق من قهوة الإنشا وأبهج على زهر المـنثور من صبح الأعشى وكم عامت بحور الفضاء ولم تحفل بأمواج الجبال وكم جاءت ببشارة خضبت لها الكف ورمت من تلك الأثملة قـلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخـضيب وانحدرت كأنها دمعـة سقطت على خد الشفق لأمر مريب وكم لمـع فى أصول الشمس خضاب كفهـا الوضاح فصار بسموها وفـرط البهجة كمـشكاة فيها مصبـاح، والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع ولا برح تغريدها مطربا بين البادى والراجع.

الباب الرابع والعشرون

فى الغيم والمطر والرعد والبرق والثلج والبرد والشمس والقمر والليل والنهار والسماء والنجوم وغير ذلك

قال بعضهم:

ويوم كـــأخـــلاق الملوك مـلون ... فـصـــحـــو ودجن ثـم طل ووابل

كـــذلك أخـلاق الملوك مـــحـبـــة ... وبـغـض ومـنـع بـين ذاك ونـائـل

على بن الجهم:

أمـا ترى اليـوم مـا أحلى شـمـائله ... صـــحـو وغـيـم وإبراق وإرعـاد

كـــأنه أنت يـا من لا شـبـيـــه له ... وصل وهجـــر وتقـريب وإبعـــاد

السرى الرفا:

حنـا المدام فـــذا يوم به قـــصـــر ... ومـا به عن تمام الحـسن تقـصـير

صحور وغيم يروق العين حسنهما ... فالـصحو فـيروزج والـغيم سـمور

وأحسن منه:

يوم دعـــاك إلى حث الـكؤوس به ... طل سقـيط وغـيم غـيـر منجـاب

واطنب البرد حتى الشمس ما طلعت ... إلا مـــزملة فى فـــرو سنجـــاب

ابن المعتز:

تظـل الشـــمس ترمـــقنا بـطرف ... خـفـى لحظه من خـلف ســتـــر

تحـــاول فـــتق غـــيم وهو يـأبى ... كـــعنين يـحـــاول فـــتق بـكر

أبو محمد العسال الطليطلى:

ولرب يوم لا يلوح سماؤه زرت غمامة عليه طوقها

والشمس تحت رقيقها فكأنها مرآة مغترب تنفس فوقها

ومن هنا أخذ القيراطى فقال:

والبدر يستر بالغيوم وينجلى كتنفس الحسناء فى مرآتها

ابن المعتصم الأنطاكى فى الغيم والنجوم:

وليل كأن نجوم السما ء بها مقل جنحت للهجوع

ترى الغيم من دونها حاجبا كما احتجبت مقل بالدموع

ابن وكيع التنيسى فى الغيم والبرق:

قم فاسقنى والخليج مضطرب والريح تثنى ذوائب القضب

كأنها والرياح تعطفها صف قنا سندسية العذب

والجو فى حلة ممسكة قد طرزتها البروق بالذهب

الزاهى وقيل لابن رشيق فى الغيم والمطر والبرق:

خليلى هل للمزن مقلة عاشق أم النار فى أحشائها وهى لا تدرى

سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد فعاجت له نحو الرياض على قبر

ترقرق دمعا فى خدود توشحت مطارفها بالبرق طرزا من التبر

فوشى بلا رقم ونسج بلا يد ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

الزاهى فى المطر والبرق:

الريح تعصف والأغصان تعتنق والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له عين من الشمس ترنو ثم تنطبق

ابن سناء الملك فى المطر والرعد والبرق:

ويوم مطير قد ترنم رعده وصفق لما أحسن القطر فى الرقص
ورقعة ماء تحت نرد فواقع وأفق عليه البرق يلعب بالفص
شربنا على هذا وذاك مدامة بدت كالعقيق الرطب والذهب الرخص
أعيد لنا فى كاسها شخص قيصر وكسرى فكادت تبعث الروح فى الشخص

الطليق فى الغمام والرعد والبرق والمطر:

فكان الغمام صب عميده إن بالرعد حرقة واشتكاء
وكان البروق نار جواه والجياد معه تسيل بكاء

وقال آخر فيه:

ويوم كساه الغيم ثوبا مصندلا وصاغت طرازيه يد البرق عسجدا
كان السما والرعد فيه تذاكرا هوى لهما فاستغربت وتنهدا

أبو حفص بن برد فى المطر والبرق:

تأكل كيف يبكى المزن خوفا إذا غشيته أسياف البروق
وكيف يشق لامعها الدياجى كشق الذهن للمعنى الدقيق

ابن وكيع فى السحاب والرعد والمطر والبرق:

وسحاب إذا همى الماء فيه ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر إلا ظل يذكى على القلوب حريقا

عبد الله بن طاهر:

أما ترى اليوم قد رقت حواشيه ... وقد دعاك إلى اللذات داعيه

وجاد بالقطر حتى خلت إن له ... الفانآه فما ينفك باكيه

جمال الدين بن نباتة:

قفا فاعجبا من هامل الغيث إنه ... لا عجب شيء يعجب العين والفكرا

يمد على الآفاق بيض خيوطه ... فينسج منه للثرى حلة خضرا

غيره:

أقول والليل في امتداد ... وأدمع الغيث في الصفاح

أظن ليلى بغير شك ... قد بات يبكي على الصباح

وقال آخر:

الأرض لا تنكر فضل السما ... ونبتها من مائها المستطاب

وهذه الألوان في زهرها ... قسمن من ألوان قوس السحاب

الواوا الدمشقي:

سقيا ليوم غدا قوس السماء به ... والشمس مسفرة والبرق خلاس

كأنه قوس رام والبروق له ... رشق السهام وعين الشمس برجاس

وقال أبو الحسين الجزار:

كم ليلة يسقيني المدام على ... روض له بنبات الغيم ترقيش

في مجلس ضحكت أرجاؤه طربا ... لأنه ببديع الزهر مفروش

والغيث كالملك يرتج الوجود له ... والبرق راياته والرعد جاويش

ابن عباد:

أقبل الثلج لانبساط السرور ... فاشربن بالصغير ثم الكبير

أقبل الجو فى غلائل نور ... يتهادى بلؤلؤ منثور

فكأن السماء صاهرت الأر ... ض وذاك النثار من كافور

السرى الرفاء:

أهلا به من عارض ترك الدجا ... ببياض مزنته غرابا أبقعا

نثرت يد الأرياح لؤلؤ ثلجه ... فبدا بأجياد الغصون مرصعا

وكأنما عبثت لوامع برقه ... بسحابة فرمت به فتقطعا

وقال آخر:

ويوم برد بدا أنفاسه ... مخمش الأوجه من قرصها

يوم تود الشمس من برده ... لو جرت النار إلى قرصها

غيره:

ليس عندى من آلة البرد إلا ... حسن صبرى ورعدتى وقنوعى

فكأنى لشدة البرد هر ... يرقب الشمس عند وقت الطلوع

المعمار:

ظن الشتاء بأنه ... عندى يقيم إلى الربيع

فإذا رأى فى حالتى ... والله ماذا إلا صقيع

ومن مخترعات أبى الحسين الجزار:

لبست بيتى وقد زررت أبوابى على حتى غسلت اليوم أثوابى
وقد أزال الشتا ما كان من حمقى دعنى فمستوقد الحمام أولى بى
ما كنت أعرف ما ضرب المقارع أو قاسيت وقع الندى من فوق أجيابى

غيره:

لى من الشمس حلة صفراء لا أبالى إذا أتانى الشتاء
ومن الزمهرير إن حدث الغيـ ـم ثيابى وطيلسانى الهواء
بيتى الأرض والسماء به سو ر مدار وسقف بيتى السماء
لى م الليل والنهار على الطو ل عزلا ينقضى وهناء
كأ الإصباح عندى لما فيـ ـه حبيب رقيبه الإمساء
شيع الناس إننى جاهل ما نوى وما لهم أهواء
أخذونى بظاهرى إذ رأونى عبد شمس تسوءنى الظلماء
إن فصل الشتاء مذ نحا جسـ ـمى أبدت بيانه الأعضاء
فيه غريمى المبرد إذ عز الكساءى واحتمى الغرماء
أنت يا قلب بعد فرقتك الصدر ر غريب وهكذا الغرباء

فبعث إليه بكسرة فبعث إليه الجزار بسكره:

لى نصفية تعد من العمـ ـر سنينا غسلتها ألف غسلة
لا تسلنى عن مشتراها ففيها منذ فصلتها نشاء بجملة
نشف الريح صدرها والأراز ب فباتت تشكو هواه ونزلة
كل يوم يحوطها العصر والدق مرارا وما تقر بعمله

وقال مضمنا:

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال ... وذراعة لى قد عفا رسمها البالى

ولا سيما والبرد وافى بريده ... وحالى على ما اعتدت من عسره حالى

ترى هل ترانى الناس فى فرجية ... أجربها تيها على الأرض أذيالى

ويمسى عذولى غير خال من الأيا ... إذا بات من أمثاله منزلى خال

ولو أننى أسعى لتفصيل جبة ... كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكننى أسعى لمجد بجوخة ... وقد يدرك المجد الموثل أمثالى

المهلبى فى الشمس:

الشمس فى مشرقها قد بدت ... مسفرة لها ليس حاجب

كأنها بودقة أحميت ... يحل فيها ذهب ذائب

ابن مرج الكحل الأندلسى:

والنهر مصقول الأباطح والربا ... بمصندل من زهره ومعصفر

ما اصفر وجه الشمس عند غروبها ... إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

وقال آخر:

أو ما ترى شمس الأصيل عليلة ... تزداد ما بين المغارب مغربا

مالت لتحجب شخصها فكأنما ... مدت على الدنيا ملاً مذهبا

ابن المعتز وقيل ابن وكيع فى الشمس على الماء:

غدير ترجرج أمواجه ... هبوب الرياح ومر الصبا

إذا الشمس من فوقه أشرقت ... توهمته جوشنا مذهبا

غيره:

ولقد ركبت البحر وهو كحلبة ... والموج تحسبه جوادا يركض

فكأنما سلت به أمواجه ... بيضاء تذهب تارة وتفضض

أبو الغرب الصقلى:

انظر إلى الشمس وقد أشرقت ... تشق نهرا حافلا مزبدا

كأنه نهر لجين وقد ... ألقى عليه صائغ عسجدا

أبو العلاء المعرى:

تظن به ثوب اللجين فإن بدت ... به الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد

تبيت النجوم الهر فى حجراته ... شوارع مثل اللؤلؤ المتبدد

فاطرحن فى أشباحهن سواقطا ... على الماء حتى كدن يلقطن باليد

ابن تميم وأجاد إلى الغاية:

ولما احتمت منا الغزالة بالسما ... وعز على قناصها أن ينالها

نصبنا شباك الماء فى الأرض حيلة ... عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

المعوج فى الشمس على ورق الأشجار وأبدع إلى الغاية:

كان طلوع الشمس فى كل غدوة ... على ورق الأشجار أو طالع

دنانير فى كف الأشل يضمها ... إليه فتهوى من فروج الأصابع

ابن طباطبا فى الهلال:

تأمل نحوى والهلال إذا بدا ... لليلته فى أفقه أينا مضنى

على أنه يزداد فى كل ليلة ... نموا وقلبى بالضنى دائما يفنى

فيه أيضًا:

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فلم أدر أيهما أنور

على أن ذاك بعيد المنال ... وهذا قريب لمن ينظر

وذاك يغيب وذا حاضر ... وما من يغيب كمن يحضر

ونفع الهلال لنا ساعة ... ونفع الحبيب لنا أكثر

وما أحس قول ابن المعتز:

وجاءنى فى قميص الليل مستترا ... مستعجل الخطو من خوف ومن حذر

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا ... مثل القلامة قد قدت من الظفر

وما ألطف قول بعضهم فى مليح يقلم أظفاره:

ناديت من أهواه وهو مقلم ... أشفاره يا نزهة المتأمل

فأجابنى أتظننى قلمتها ... عن حاجة لا بل لمعنى عن لى

لأريك يا من بالهلال تقسينى ... إن الهلال قلامة من أنملى

وقال ابن المعتز أيضًا:

أهلا بفطر قد أنار هلاله ... فالآن فاغد إلى المدام وبكر

وانظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

الشهاب محمود:

كان الثريا والهلال ودارة ... حوته وقد زان الثريا التئامها

حباب طفا من حول زورق فضة ... بكف فتاة طاف بالراح جامها

ابن النقيب:

أعملت فكرى فى السماء وقد بدا فيها هلال جسمه منهوك

فكأنما هى شقة ممدودة وكأنه من فوقها مكوك

أبو هلال فى الهلال أيضًا:

وكؤوس دارت علينا بليل تحت سقف مرصع باللجين

وكان الهلال مرآة تبر تنجلى كل ليلة أصبعين

الصفدى:

حكى هلال الأفق لما مضت له ثلاث واعتلى واستناد

مرآة خد بعضها ظاهر والبعض منها فى غلاف العذار

وقال آخر:

وعشاء كأنما الأفق فيه لازورد ملمع بنضار

لما قلت هوت لمغربها الشمـ ـس ولاح الهلال للنظار

اقرض الشرق ضده الغرب دينا فأعطاه للرهن نصف سوار

ابن المعتز فى الهلال والثريا:

وكان المجد جدول ماء نور الأقحوان فى جانبيه

وكان الهلال نصف سوار والثريا كف يشير إليه

وله فيه أيضًا:

زارنى والدجا أجم الحواشى والثريا فى الغرب كالعنقود

وهلال السماء طوق عروس وبات يجلى على غلائل سود

فى اقتران الهلال بالزهرة:

قـــارن الزهـرة الهـــلال فكـانا ... فى اقـتـران من غـير صـد وهجـرة

وإذا ا تـقـــــارنـا قلـت طـوق ... من لجـين قـد علـقت فـيـــه درة

وقال آخر فيه:

وكم ركـبت من الظلمـاء أدهمهـا ... وعاق أشـهـب صبـحى عنه تشكيل

والليـل يمشط من ظـلمـانه لمـمـا ... لهـــا بمشـط ثريا الأفـق ترجـيل

ومن هلال السمـا الزاهى وزهرتها ... بجـامـع الزهر مـحـراب وقنديل

القيراطى فى الليل والصبح والهلال والزهرة:

أمـا تـرى الزهرة قـد لاحـت لنا ... تحت هـلال لونـه يحكى الـلهـب

ككـرة من فـــضـــة مـــجـلوة ... أوفى عليـهـا صـولجـان من ذهب

الميكالى فى الهلال والزهرة:

رأيت الـهـــلال وقـــد حلـقت ... نجـوم الـثـريا لكـى تسـبـقـه

فـشـبـهـتـه وهو فى أثـرها ... وبيـنهـمـا الـزهرة المشـرقـة

كـــرام بـقـــوس رأى طائـرا ... فـــحلـق فى أثـره بـندقـــه

فى الليل والهلال والنجوم:

كـــأنما الليـل والهـــلال وقـد ... وافت نجـوم السـمـاء منـقـضـة

رام من الـزنج قـــوســـه ذهب ... تخـــرج منه بـنادق الفـــضـــة

ابن المعتز فى الهلال والنجوم:

انظر إلى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صبغ من فضة يحصد من زهر الدجا نرجسا

التنوخى فيه:

والهلال الذى يلو ح خلال الغياهب
مثل فخ اللجين صيـ ـغ لصيد الكواعب

فى تشبيه الهلال أشياء بديعة تزيد على سبعين تشبيها واعتنى الشيخ جمال الدين بن نباتة يجمع بعضها فى قصيدته الرائية التى امتدح بها الملك المؤيد صاحب حماة التى أولها:

يا شاهر اللحظ حالى فيك مشهور وكاسر الجفن قلبى منك مكسور

فقال:

كان شكل هلال العيد فى يده قوس على مهج الأعداء موتور
أو مخلب مده نسر السماء لهم فكل طائر قلب منه مذعور
أو منجل لحصاد القوم منعطف أو خنجر مرهف الحدين مطرور
أو نحل تبرأ جادت فى هديته إلى جواد ابن أيوب المقادير
أو راجع الظهر شكرا للظلام على من فضله فى السما والأرض مشكور
أو زورق جاء فيه العيد منحدرا حيث الدجى كعباب البحر مسجور
أو لا فقل شفة للكاس مائلة تذكر العيش إن العيش مذكور
أو لا فتصف سوار قام يطرحه كف الدجى حين عمته التباشير
أو لا فقطعة قيد فك عن بشر أخنى الصيام عليه فهو مأسور
أو لا فم رمضان النون قد سقطت لما مضى وهو من شوال مدعور

قلت وهذا المعنى أخذه الشيخ جمال الدين بن قلاقس فإنه قال:

وهلال شوال يقول مصدقا بيدى غصبت النون من رمضان

ولكن شتان بين قول ابن قلاقس بيدى غصبت النون من رمضان وبين قول الشيخ جمال الدين لما مضى وهو من شوال مدعور فإن هذا حشو لا فائدة فيه والله أعلم.

وأما القاضى مجد الدين بن مكانس فإنه زاد على الشيخ جمال الدين فى التشبيهات البديعة فى أرجوزته التى سماها عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء، وقد أوردت غالبها فى باب أدب النديم وأخرت التشبيهات إلى هنا فتعين إيرادها قال يصف ليلة أنسه:

يا طيبها من ليلة لو زنها طويلة
ساعاتها قصار وكلها أنوار
بدا بها الهلال يزينه الجمال
من جانب الغمامة كالحب فى العمامة
ولمعة السراج والصدغ فى الزجاج
وجانب المرآة والنعل فى الفلاة
وكشفاه الأكؤس والحاجب المقوس
قالت لى حين وفى ورق لى وانعطفا
كالغصن لدن أعوج والعلج أو كالدملج
معرفا كالنون وهيئة العرجون
يشبه طوق الدرة فى الصحو بين الخضرة
يا صفوة الأقمار يا بدئ الأنوار
يا من يحاكى الغيبة والقينة المنتخبة
وزورق السباحة والطعن فى التفاحة

أصبحت فى التمثيل تشب ناب الفيل

فيلا له حين وثب قربوس سرج من ذهب

أو منجل الأعمار أو قسمة النوار

أو مخلبا للطائر أو مثل نقل الحافر

يا مشبه القلامة هنيت بالسلامة

والبدر والدرارى الخنس الجوارى

ملك لدى سمائه يختال فى إمائه

فى وجهه آثار كأنه دينار

تشرق فى الديجور كجامة البلور

بين الظلام سارى كالوجه فى العذار

حسان الكلبى المعروف بعرقلة فى البدر:

أما ترى البدر فى السماء وقد حاول من بعد تمه نقصه

بينا تراه كخشتكانكة حتى تراه كأنه قرصه

سعيد بن عثمان المعروف بالسكينة:

والبدر فى أفق السماء قد انطوت طرفاه حتى عاد مثل الزورق

فتراه من تحت المحاق كأنما غرق الجميع وبعضه لم يغرق

غيره:

قم هاتها كاسا كأن حبابها طل أحاط بوردة حمراء

والبدر فى أفق السماء كأنه ذهب على ياقوتة زرقاء

ابن الرومى فى القمر والنجوم:

ومدامة كدم الذبيح شربتها والبدر يجنح من خلال المشرق

وكأنما زهر الكواكب حوله درر نثرن على بساط أزرق

تميم بن معد:

انظر إلى الليل كالزنجى منهزما والصبح فى أثره يعدو بأشهبه

والبدر منتصب ما بين أنجمه كأنه ملك فى صدر موكبه

عبد الوهاب بن حزم:

ولم أنس مسرى ربة القرض إذ سرت عشاء وفرع الليل محلو لك جعد

كأن الثريا خاتم فى بنانها ومنطقة الجوزاء فى جيدها عقد

وقد طلع البدر المنير كأنه مليك وأشتات النجوم له جند

أبو نصر سهل بن المرزبان فى القمر والثريا:

كم ليلة أحييتها ومنادمى طرف الحديث وطيب حث الأكؤس

شبهت بدر سمائها لما بدت منه الثريا فى ملاءة سندس

ملكا مهابا جالسا فى روضة حياه بعض الزائرين بنرجس

عرقلة الدمشقى فى القمر والثريا والنجوم:

كأن الثريا وبدر السما وأجمها طلع تزحف

يدان أشارت إلى روضة وبينهما نرجس مضعف

عبد العزيز بن الحاكم فى القمر والمريخ:

وكـــان البـــدر والمر يخ إذ وافى إليـــــه

ملك توقـــد ليـــلا شـــمـــعـــة بين يديه

القاضى التنوخى فى المريخ والمشترى:

كـــأن المريخ والمشـــتـــرى قـدامـــه فى شـامخ الرقـعـة

منصـــرف بالـليـل فى ظلـمـــة قـد أسـرجـوا قـدامـه شـمـعـة

ابن النادى الواسطى فى القمر على الماء:

أمـا ترى الليل قـد ولت عـساكـره مهزومة وجـيوش الصبح فى الطلب

والبـدر فى الأفق الغـربى تحـسبـه قد مد جسرا على الشطين من ذهب

القاضى التنوخى فيه:

أحـسن بدجلـة والدجـا منصـوب والبـدر فى أفق الـسمـاء مـغـرب

وكـأنـهـا فـيـه بـسـاط أزرق وكـأنه فـيـهـا طـراز مـذهب

منصور بن كيغلغ فيه:

كم ليلـة سـامـرت فـيـهـا بدرها من فـوق دجلة قـبـل أن يتـغـيـبـا

والبـــدر يـجنح للغـــروب كـأنما قـد سل فـوق الما نصـلا مـذهبـا

وقال آخر فيه:

قم يا غـــلام أدر على بســـحـرة كاسا كطعم الشـهد بل هى أعذب

لا سـيـمـا والليل يجـمـع فـوقـه بدر لوقت مـغـيـبـه يتـصـوب

غيره فيه:

أما ترى البدر فى دجا الغسق ... قد امتطى فوق منكب الأفق
أهدى إلى النهر حسن بهجته ... فبات فى حلة من الورق

وأجاد ابن طباطبا فى تشبيه النجوم والقمر على الماء:

كم يلة سامرت أنجمها التى ... عرصات أرضى مائها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كأنما ... فلك السماء يدور فى أرجائها
أحسن بها بحرا إذا التبس الدجا ... كانت نجوم الليل من حصبائها
ترنو إلى الجوزاء وهى غريقة ... تبغى النجاء ولات حين نجائها

الصلاح الصفدى:

كأن الأغصان فى روضها ... والبدر فى أثنائها مسفر
بنت مليك سار فى موكب ... قامت إلى شباكها تنظر

غيره:

كأنما الأغصان لما انثنت ... أمام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها ... تفرجت منه على موكبه

وقال آخر:

والبدر فى الجانب الغربى متسق ... والغيم يكسوه جلبابا ويكسبه
كوجه محبوبة تبدو لعاشقها ... فإن بدا لهما واش تنقبه

الأكرم بن هبيرة:

وكأن هذا البدر حين تظله ... سحب فيخفى تارة ويؤوب
حسناء تبدو من خلال سجوفها ... طورا فتنظر نحونا وتغيب

ابن برد فيه:

والبدر كالمرآة غير صقلها ... عبث العذارى فيه بالأنفاس

والليل ملتبس بضوء صباحه ... مثل التباس النقش بالقرطاس

أخذه القيراطى ولكنه أجاد تركيبه فقال:

كم ليلة نادمت بدر سمائها ... والشمس تشرق فى أكف سقاتها

والبدر يستر بالغيوم وينجلى ... كتنفس الحسناء فى مرآتها

ولطيف هنا قول بعضهم:

وصيرت بدر التم مذ غاب مؤنسى ... أنيسى وقلت البدر منه قريب

فحجبه عنى الغمام بذيله ... فوا أسفًا حتى الغمام رقيب

فى كسوف القمر:

من لم ير البدر لم ير العجبا ... فى ليلة التم إذ رأى طربا

سار إلى الشمس كى يقبلها ... فلم يجدها فعاد منتقبا

آخر فيه لابن الرومى:

يا من بغرته الهلال أما ترى ... قمر السماء وقد بدا فى المشرق

كخريدة نظرت إلى إلف لها ... فتلثمت خجلا بكم أزرق

ويحكى أن القاضى جمال الدين بن الزملكانى كان يهوى شابا بديع الجمال يسمى بدر الدين فكتب إليه:

يا بدر دين الله صلى مدنفا ... صيره حبك رق الخلال

لا تخش من عار إذا زرته ... فما يخاف البدر عند الكمال

فلما سمع بهما الشيخ صدر الدين بن الوكيل كتب إلى الشاب معارضا:

يا بدر لا تسمع مقال الكمال فكل ما نمق دور محال

البدر يخشى النقص فى تمه وإنما يخسف عند الكمال

ومن الاتفاقات الغريبة أن بعض الناس كان يحب شخصا بديع الجمال يلقب ببدر الدين فاتفق أنه وفى ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبه من رؤيته من شدة الأسف والحزن وأنشد يخاطب البدر:

شقيقك غيب فى لحده وتطلع يا بدر من بعده

فهلا كسفت وكان الكسوف لباس السواد على فقده

فكسف القمر من ساعته فانظر إلى صدق هذه المحبة وتأثيرها فى القمر وصدق من قال أن المحبة مغناطيس القلوب.

وأغرب من ذلك وألطف ما حكى أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى هيبة ووقار ودين وعفة ليعلمه وأسكنه بمنزل قريب منه فأقام على ذلك مدة يأتى كل يوم إلى بيت الصاحب بدر الدين يعلم أخاه وينصرف إلى منزله، ثم إن الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكى له يوما حاله، فقال له الشاب ما حيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى ليلا ولا نهارا.

أما النهار فكما ترى ملازما لنا، وأما الليل فإن سريرى مقابل لسريره، فقال لى الشيخ إن منزلى ملاصق لداركم إذا غمضت عين أخيك وأخذه النوم أن تقوم تستعمل ماء فتأتى إلى الحائط، وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس

عندى لحظة لطيفة ثم تعود من غير أن يشعر أخوك بشيء فقال الشاب سمعا وطاعة، وتواعدا على ليلة فجهز له الشيخ من التحف والطرف ما يليق بمقامه، وأما الشاب فإنه أخذ مضجعه للنوم وأظهر أنه نائم.

فلما نام الصاحب بدر الدين واستغرق وأمن من انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا توصل منه إلى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل، وكانت ليلة البدر فجلسا وتنادما ودارت بينهما كاسات الشراب ممزوجة ببرد الرضاب، وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى البدر جرمه عليهما وهما فى مقام يجل عن الوصف إذا انتبه الصاحب بدر الدين فلم يجد أخاه فقام فزعا ووجد الباب الذى استطرق منه مفتوحا فقال من هنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت فارتجم إلى السطح ونظر من كور القاعة فرآهما على تلك الحالة والكاس فى يد الشيخ وهو ينشد بأحسن صوت:

سقانى خمرة من ريق فيه ... وحيا بالعذار وما يليه

وبات معانقى خدا بخد ... غزال فى الأنام بلا شبيه

وبات البدر مطلعا علينا ... سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطافة الصاحب بدر الدين أن قال والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف.

الشيء بالشيء يذكر قد تقدم أن يزيد بن معاوية كان مغرما بحب الشراب وكان والده ينهاه عن ذلك، فالتزم لوالده أن لا يعود إلى شرب الخمر وصار يفعل ذلك خفية فذكر ذلك لوالده فصار يتبعه إلى أن ظفر به ذات ليلة فى مكان فتسور عليه وكاد أن يهجم فسمع ولده ينشد:

ألا إن أهنى العيش ما سمحت به صروف الليالى والحوادث نوم

فثنى رجله وقال والله لا أكون فى هذه الليلة من الحوادث على ولدى وانصرف من حيث أتى وقال بعضهم:

رأت قمر السماء فأذكرتنى ليالى وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعينى

معنى هذين البيتين متوقف على تقديم مقدمة وهى أن مذهب هذا الشاعر أن وجه محبوبته هو القمر حقيقة وقمر السماء مجاز على سبيل الاستدعاء والمبالغة وذلك جائز عند أهل المعانى والبيان كقول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

فإن هذا الشاعر لما اعتقد أن محبوبه قمرا أجرى عليه أحكام القمر فإنه كما يقال أن من خاصية القمر أن يبلى الثياب رجع إلى تفسير البيتين المتقدمين ومذهب قائلهما أيضًا أن محبوبته على العكس من ذلك أن قمر السماء هو الحقيقة، وأن وجهها قمر مجازا كما هو كذلك فى باطن الأمر فقوله كلانا ناظر قمرا، أى أنه ناظر إليهما وهى ناظرة إلى قمر السماء، وقوله رأيت بعينها، أى رأيتها قمرا حقيقة كما أن عينها تنظر قمر السماء حقيقة، وقوله ورأت بعينى أنها رأت قمر السماء حقيقة. كما أن عينى تنظرها قمرا حقيقة وبلغنى أن بعض العلماء تكلم على هذين البيتين كلاما بليغا نحو من كراسة ولكن لم أقف عليه وفيما قلته كفاية وما أحسن قول المتنبى:

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتنى القمرين فى وقت معا

ولم أسمع أبدع من قول القاضى الفاضل فى مملوكه:

تراءى ومرآة السماء صقيلة فأثر فيها وجهه صورة البدر

وعمل له القاضى زين الدين بن الخراط أولا فقال:

ومحتجب لما رأى الركب فى الدجا وقد ضل يبغى البدر أسفر للسفر
تراءى ومرآة السماء صقيلة فأثر فيها وجهه صورة البدر

وعمل له تقى الدين بن حجة أيضًا أولا فقال:

تحجب حتى بان فى أفقنا الصدا ولكنه مذ جن فى آخر الشهر
تراءى ومرآة السماء صقيلة فأثر فيها وجهه صورة للبدر

وما ألطف ما قال بعضهم:

ألا فانظرى للبدر فى كل ليلة فإنى إليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده فنشكو إليه ما تكن الضمائر

ويقال إن من نظر إلى البدر فى ليالى متعددة وخاطبه بهذين البيتين وهو مشغوف القلب اجتمع بمن يحب قبل مضى أسبوع وهما:

يا أيها القمر المنير الزاهر الأبلج البدر البهى الباهر
بلغ شبيهتك السلام وصف لها شوقى وإنى فى هواها ساهر

فى مقابلة القمر للشمس:

تأمل إذا ما قابل البدر شمسه صباحا وكل يملأ الأرض أنوارا
كأن الذى ألقى إلى الغرب درهما لحاجته ألقى إلى الشرق دينارا

الطغرائى فيه:

وكـأنما الشـمس المنيـرة إذ بدت والبدر يـجنح للغروب ومـا غرب
مـتـحـاربان لذا مـجن صـاغـه من فـضـة ولذا مـجـن من ذهب

محمد بن الحسين الحاتمى فى قصر الليل:

يا رب ليل سـرور خلته قـصـرا كعارض البرق فى أفق الدجا برقا
قـد كـاد يعـثـر أولاه بآخـره وكـاد يسبق منه فـجره الشـفـقـا
كـأنما طـرفـاه طـرف اتفـق الـ ـجفنان منه على الأطياق وافترقا

غيره فيه:

سـألت الـليل إذ ولـى هزيمـا وقـد بات الحبيب على اقـتـراحى
فـقـال كـواكـبى غـارت وسـارت مـخـامـرة على إلى الصـبـاح

وقال آخر:

يا لـيلة كـاد من تقـاصـرها يعـثـر فـيـهـا العـشـا فى السـحـر
تطول فى هجرنا وتقصر فى الوصـ ـل فـمـا نـلتـقى على قـدر

سيدوك فى طول الليل:

عهـدى بنا ورداء الوصل يجمـعنا والليل أطـوله كـاللـمح بالبـصـر
فـالآن ليلى مـذ بانوا فـديتـهم ليل الضـرير فصبـحى غير منتظر

فيه أيضًا:

يـا أخى البـدر سـنـاء وسنـا حـفـظ الله زمـانا أطـلعك
إن يـطل بـعـدك ليـلى فـلكـم بت أشكـو قـصـر الليـل مـعك

وقال آخر:

يطول ليلى إن صدت ويقصر إن زارت فلا كان ليلى لا ولا سحرى

الليل إن هجرت كالليل إن وصلت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

القاضى الأرجانى:

لا أدعى جور الزمان ولا أرى ليلى يزيد على الليالى طولا

لكن مرآة الزمان تنفسى للهم أصدى وجهها المصقولا

وقال آخر:

يا ليل طل أو لا تطل لا بد لى أن أسهرك

لو بات عندى قمرى ما بت أرعى قمرك

الرصافى:

يا ليلة طالت على عاشق نمتظر للصبح ميعادا

كادت تكون الدهر فى طولها إذا مضى أولها عادا

أبو هلال العسكرى فيه:

غابوا فلم أدر ما ألاقى مس من الوجد أم جنون

ليل لا يبتغى حراكا كأنه أدهم خرون

بشار بن برد:

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الشمس لا يتوضح

أضل النهار المستنير طريقه أم الدهر ليل كله ليس يبرج

السراج الوراق:

يا ليل هل ضل الصباح فما اهتدى ... للشرق أم سدت عليه طريقه

وهل الكواكب سيرت أم سمرت ... أم عاق كل مسير عيوقه

الأمير أبو عبد الله الخفاج:

من كان يحمد ليلا فى تقاصره ... فإن ليلى لا يرجى له سحر

لا تسألونى إلا عن أوائله ... فآخر الليل ما عندى له خبرا

وقال آخر:

أيها النائمون حولى أعينو ... نى على الليل خشية وادكارا

حدثونى عن النهار حديثا ... أو صفوه فقد نسيت النهارا

سيف الدين المشد:

مات الصباح بليل ... أحبيته حين عسعس

لو كان لليل صبح ... يعيش كان تنفس

ابن منقذ:

ولرب ليل تاه فيه نجمه ... قطعته سحرا فطال وعسعس

وسألته عن صبحه فأجابنى ... لو كان فى قيد الحياة تنفسا

وقال أيضًا:

لما رأيت النجم ساه طرفه ... والجو قد ألقى عليه سباتا

وبناتنعش فى الحداد سوافرا ... أيقنت أن صياحهم قد ماتا

ابن الرومى:

رب ليل كأنه الليل طولا ... قد تناها فليس فيه مزيد

ذى نجوم كأنهن نجوم الشـ ... ـب ليست تبيد لكن تزيد

أبو العلاء المعرى:

قول وقد طال ليلى على ... أما الشباب الدجى من مشيب

أقصت نسور نجوم السماء ... فلم تستطع نهضة للمغيب

ابن المعتز:

أقول وقد طال ليل الهموم ... وسامرت نجوى فؤاد سقيم

ترى الشمس قد مسخت كوكبا ... وقد طلعت فى عداد النجوم

ابن الوكيل:

بكف الثريا وهى جذ ما يقاس لى ... شقاق دجى مدت من الشرق للغرب

ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت ... فما تنقضى يا ليل أو ينقضى نحبى

وقال آخر:

كأن الثريا راحة تشبر الدجى ... ليعلم طال الليل أم قد تعرضا

فليل تراه بين شرق ومغرب ... يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

ابن خفاجة:

والليل قد وافى يقلص برده ... كدا ويسحب ذيله فى المغرب

وكأنما كف الثريا سحرة ... كف يمسح عن معاطف أشهب

أبو الحسين بن فارس:

زارنى فى الدجى فنم علىـــه طيب أراد أنه لدى الرقبـــاء

والثـــريا كـــأنهـــا كف خـــور برزت من غـــلالـه زرقـــاء

الواوا الدمشقى:

رب ليل ما زلت ألثم فيه خمرها لابسا غلالة ورد

وقال آخر:

فصوص خواتيم بخمس أنامل تقلب طورا وهى فى كف حاسب

تميم بن المعز:

ألا اســقيــانى قــهــوة ذهبيــة فقد ألبس الآفاق جنح الدجى دعج

كــأن الثــريا والظلام يحفــهــا فصوص لجين قد أحاط به سبج

السرى الرفا

كــأن نجم الثــريا كف ذى كــرم مبســوطة للعطايا ليس تنقبض

دارت علينا كؤوس الراح مترعة وللدجا عارض فى الأرض معترض

حــتى رأيت نجــوم الليل غــائرة كأنهن جفــون حشوها مرض

أبو القاسم التميمى وقيل لابن المعتز:

كــأن الثــريا هــودج فــوق ناقــة يحث بهـا حاد إلى الغرب مزعج

وقد لمعت حتى كــان بريقــهـا قــوارير فيــهـا زيبق يترجــرج

القاضى الفاضل:

يـا زائرى مـن بعـــــد يأس ربمـا ... تم المنى مـن بعـد إرجـاء الرجـا

أترى الهـلال ركـبت منـه زورقـا ... أو لا فكيف قطعت بحـرا من دجا

أم زرتنى ومـن النجـوم ركـائب ... فـأرى ثـرياها كـوشى هـودجـا

غيره للحاتمى:

وليل أقـمنا فيـه نعـمل كـاسنا ... إلى أن بدا للصبح فى الليل عسكر

ونجم الثـريا فى الـسمـاء كـأنه ... على حـلة زرقـاء جـيـب مـدنر

وقال آخر:

كـأن الثـريا فى أواخـر ليـلهـا ... من الدر عـقد وهى واسطة العقـد

إلى أن تبدى الصبح من خلل الدجا ... وكان كمثل السيف سل من الغمد

ابن الرومى:

كـأن الثـريا إذ تجـمع شـملهـا ... رياض ربيع فـصلت بشـقـيق

وقـد لمعت حـتى كـان بريقـهـا ... قـلائد در فـصلت بعـقـيق

ابن وكيع فى النجوم والسماء:

أمـــــا تـرى أنجم الـدياجـى ... تـزهـر فى ثـوبـهـــــا الـنـقـى

تحكى لـنا لـؤلؤا رطـيـــبـــا ... على بســاط بـنفـســـجى

ابن المعتز فيه:

كـــأن ســـمـــاءنـا لما تجـلت ... خـلال نجـومـهـا عند الصـبـاح

رياض بـنفـسـج خـضـل نداه ... تفـتح فـيـه نـوار الأقـاح

وقال آخر:

يـا لـيـلـة هـى طـولا كـمـثل شـوقى ووجـدى

نجـومـهـا الـزهر تحكى حـسنا لآلئ عـقـد

والأنجم الـزهر فـيـهـا كـالورد فى الـلازورد

ابن طباطبا وأجاد:

رب ليل صـحـبـتـه كـاسف البا ل كـئـيـبـا حليف هم شتـيت

تحت سقف من الـزمـرد قـد رصـ ـع حـسنا بالدر والياقـوت

على بن طاهر:

وقـد بدت الـنجـوم على سـمـاء تكـامل صـحـوها فى كـل عين

كـسـقـف أزرق من لازورد بدت فـيـه مـسـامـيـر الـلجين

وقال آخر:

وافى وانـعـشـنى بوعـد منتظر بمدامة من كـاسـهـا تجلو البصر

فـشـربت كـاسـا والنجـوم كـأنهـا شـرر تطاير فى السمـاء من القمـر

ابن المعتز:

كم ليلـة شـغل الرقـاد عـذولـهـا عن عـاشـقين تواعـد الـلقـاء

مـا راعنا تحت الدجى شىء سـوى شـبـه النجـوم بأعين الرقـبـاء

الواوا الدمشقى:

كان نجـوم الليل من جوف فـجرها وقـد حـان منهـا للغـروب عـزائم

عيون نهـاها الشوق أن تطعم الكرى فـأجـفـانهـا مـسـتـيـقظات نوائم

أبو القاسم الزاهى:

أرى الليل يمضى والنجوم كأنها ... عيون الندامى حين مالت إلى الغمض

وقد لاح فجر يغمر الجو نوره ... كما انفجرت بالماء عين من الأرض

ابن المعتز فيه:

والنجم فى الليل البهيم تخاله ... عينا تخالس غفلة الرقباء

والصبح من تحت الظلام كأنه ... شيب بدا فى لمة سوداء

على بن محمد العلوى:

كأن اخضرار الفجر صرح ممرد ... وفيه لأل لم تشب بشقوب

كان سواد الليل فى ضوء صبحه ... سواد شباب فى بياض مشيب

أبو على بن وكيع:

غرد القمرى فنبه من نعس ... وأدار كاسك فالعيش خلس

سل سيف الفجر من غمد الدجا ... وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وانجلى فى حلل قضية ... نالها من ظلمة الليل دنس

ابن ورد فى الهلال والصبح:

وكان الهلال نون من الإبـ ... ـريز خطت بخالص اللازورد

وكان الصباح لما تبدى ... دولة الوصل أقبلت بعد صد

أبو نواس فى البدر والصبح:

يا رب راح بت أشرب كاسها ... من كف ظبى مالك لقيادى

والبدر فى أفق السماء كغادة ... بيضاء لاحت فى لباس حداد

حتى بدا وجه الصباح كأنه ... وجه الحبيب أتى بلا ميعاد

ابن الظهير الأربلى من أبيات يصف فيها الهلال ثم يقول:

جئتها والظلام راهب ليل ... جاعل كل كوكب قنديلا

أو عظيم للزنج يقدم جيشا ... قد أعدوا أسنة ونصولا

وكان السماء روض أنيق ... نوره بات بالندى مطلولا

وكأن النجوم در عقود ... عاد معقود سلكها محلولا

ليلة كالغداف لو لم يرعها ... نار فجر ما أوشكت أن تزولا

وتولت وأشهب الصبح يتلو ... أدهم الليل دانيا مشكولا

وكأن الصباح ميل لجين ... كاحل للظلام طرفا كحيلا

وثنى النجم عن سراه عنانا ... مطلقا وانبرى النسيم عليلا

واجتلينا وجه الزمان كوجه الـ ... ـصاحب الصدر مرتجى مأمولا

وقال صاحب رسالة الطيف:

وليل غدا فى الأهاب ارتديته ... وصحبى نشاوى من نعاس ومن لغب

كأن السماء اللازوردى مطرف ... وأنجمه فيه دنانير من ذهب

قد اطردت فيه المجرة جدولا ... فلاح عليه من كواكبها حبب

كأن سواد الليل زنج بدا لهم ... من الصبح ترك فاستكانوا إلى الهرب

كأن ضياء الشمس وجه محمد ... إذا أمه الراجى فأعطاه ما طلب

ابن نباتة:

كم ليلة بت أشكو من تطولها ... على والليل داجى القلب كافره

وأرقب الشهب فيها وهى ثابتة ... كأنما سمرت منها مسامره

حتى بدا الصبح يحكى وجه سيدنا ... قاضى القضاة إذا استجداه زائره

أبو عثمان الخالدى:

ما عذرنا فى حبسنا الأكوابا ... سقط النداى وصفا الهواء وطابا

وكأنما الصبح المنير وقد بدا ... بازا أطار من الظلام غرابا

وأبدع ما سمعت فيه قول ابن زكريا يحيى بن هذيل التجيبى:

نام طفل النبت فى حجر النعامى ... لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

وسقى الوسمى أغصان النقا ... فهوت تلثم أفواه النادمى

كحل الفجر لهم جفن الدجى ... وغدا فى وجنة الصبح لزاما

تحسب البدر محيا ثمل ... قد سقته راح الصبح مداما

حوله الزهر كؤوس قد غدت ... مسكة الليل عليهن أختاما

* * *

الباب الخامس والعشرون

فى المطولات والأراجيز والأزجال من جميع ما تتضمن الزهريات

قال ابن الراجح الحلى:

نثرت عقود سمائها الأنداء ... بيد النسيم فللثرى إثراء

وبدت تباشير الربيع كأنما ... نشرت حبائر وشيها صنعاء

وافتر ثغر الأقحوانة باسما ... إذ للشقيقة مقلة رمداء

والأرض قد زهيت بحلى نباتها ... والجو حلة سحبه دكناء

والروض فى نوشان سحرته وقد ... طافت عليه الديمة الوطفاء

وثنى الحيا عطف الغدير فصفقت ... أطرافه وتغنت الورقاء

فكأن أعطاف الغصون منابر ... والورق فى أوراقها خطباء

فأجب نديم قد دعيت إلى الذى ... سنته قبل لمثلك الندماء

أما الربيع فقد بدا وغصونه ... هيف القدود وأرضه زهراء

فعلام نومك والمدام شروطها ... ساق أغن وروضة غناء

وأزل خساسات النفوس فإنها ... صدئت وما غير الكؤوس جلاه

فينا من الماء القراح وشربه ... رى ونحن إلى المدام ظماء

فكس الكؤوس بها وحى لعل أن ... تحيى المدامة ما أمات الماء

وأدر من الراح الشمول حشاشة ... تسرى بها فى روحى السراء

عذراء كللها الحباب بتاجه ... فأتتك توهم أنها شمطاء

وقال أيضًا:

نبه بحى هلا على الصهباء ... من كان قد أغفى من الندماء

فالشرق قد قبض الدجنة باسطا ... للفجر طرة راية حمراء

والغرب منه طعينة أحشاؤه ... بأسنة من أنجم الجوزاء

فانهض إلى خلس الصبوح فقد جلا ... ورد الصباح بنفسج الظلماء

والترب مصقول الترائب نشره ... متأرج يثنى على الأنواء

والأرض ذات خمائل تمشى الصبا ... فيها فتثنيها من الخيلاء

رقصت قدود الدوح نصب عيونها ... وبكت جفون الديمة الوطفاء

واعتل خفاق النسيم وقد جرى ... متعسرا بمساقط الأنداء

والورد يقطر ماؤه من حوله ... والجو لابس حلة دكناء

وغصونها نشوى رضاع غمامة ... وسماع شد وحمامة ورقاء

فانهض إلى فرص النعيم وخل عن ... أمر النديم بمطلق السراء

واغنم على وجه الربيع وحسنه ... فى صدر يومك بهجة الصهباء

واهتف بأموات الصحاة تعدهم ... بلطف روح الروح فى الأحياء

واستعجل الساقى الأغن يديرها ... فى مستنير الروضة الغناء

فإذا مشى فى الروض فوق كثيبه ... ثملا وأبدى الصبح تحت مساء

فالنوم فى عينيه منه صبابة ... ألهته أن يغنى بزر قباء

فاختص شرب الماء غيرى واسقنى ... عذراء تأنف من قراع الماء

واحرص على قتلى بها فى روضة موشية بمصارع الشهداء
واجعل غناءك لى لتحيى مهجتى بمديح موسى ذى اليد البيضاء

صفوان بن إدريس:

جاد الربا من بانة الجرعاء نوآن من دمعى وغيث سماء
يا ليت شعرى والزمان منقل والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية خفاقة الأغصان والأفناء
والورد فى شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلة رقاء

الشيخ أبو الفتوح نصر بن مخلوق اللخمى الأزهرى المعروف بابن قلاقس:

شق الصباح غلالة الظلماء وانحل عقد كواكب الجوزاء
وتكللت تيجان أزهار الربا بغرائب من لؤلؤ الأنداء
وجرى النسيم فجر فضل ردائه متحرسا بمساقط الأنواء
وعلا الحمام على منابر أيكه يبدى فصاحة ألسن الخطباء
ودعا وقد رق الهواء منمق الـ ـسربال طابت زهرة الصهباء
لو لم يكن ملك الطيور لما انثنى بالتاج يمشى مشية الخيلاء
فاشرب معتقة الطلا صرفا على رقص الغصون ونغمة الورقاء
تسعى بها خود كأن جبينها بدر تشعشع فى دجا الظلماء

هيـفـاء وطفـاء النجـوم كـأنما تسـعى بنار أضـرمـت فى مـاء
فى سـحر مـقلتهـا وخمـرة ريقهـا شـرك العـقـول وآفـة الأعـضـاء

وقال أيضًا:

كم مـقلة للـشـقـيق الفض رمـداء إسـانـهـا سـامح فـى دمع أبداء
وكم ثغـور أقـاح فـى مـراشـفـهـا رضـاب طـائفـة بالرى وطـفـاء
فمـا اعتـذارك عن عـذراء جامـحة لانت كـمـا لامـستـهـا راحـة الماء
نضا علـيها حسام المزج فامـتنعت بلامـة من حـبـاب الجم حـصـداء
أمـا ترى الصبح يخـفى فى دجنتـه كـأنما هـو سـقط بين أحـشـاء
والطير فى عـذبات الدوح صادحة تطـابق الحـن بين العـود والـناء
فحـيى بالكاس كسرى تحيى رمـته بروح راح سـرت فى جسم سـراء
وعـذ بمعـجـز آيات المدامـة من نوافث السـحر فى أجـفان حـوراء
فـمـا الفـصـاحـة إلا مـا تكرره منازل الـدن من ترجـيع فـأفـاء
يديرهـا فـاتن الألحـاظ فـاترها صـاح مـعـربد أعضـاء وأغـضـاء
وأعكف على جلس اللذات مـغتنمـا فـالدهـر فى حـربه تلويـن حـرباء

ابن نباتة من أبيات:

يا صـاحـبى أقـلا من مـلامـكمـا ولا تـزيـدا بتـكـرار الأسـى داءى
هذى الرياض عن الأزهار باسـمـة كـمـا تبـسم عـجـبـا ثغـر لمياء

والأرض ناطقة عن صنع بارئها ... إلى الورى وعجيب نطق خرساء
فما يصدكما والحال داعية ... عن شرب فاقعة للهم صفراء
راح غريب برؤياها ومشربها ... حتى انتصبت إليها نصب إغراء
من الكميت التى تجرى بصاحبها ... جرى الرهان إلى غايات سراء
بكف أغيد يحسوها مقهقهة ... كما تأود غصن تحت ورقاء
حسبى من الله غفر للذنوب ومن ... جدوى المؤيد تجديد لإثراء

المقر الفخرى ابن مكانس سقى الله ثراه يصف شجر سرح على شاطى النيل، وهى قصيدة بديعة كلها غرر ودرر نسجها على منوال أبى الطيب المتنبى:

يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره ... على اليواقيت فى أشكال حصباء
حلت عليك عزاليها السحاب إذا ... نوء الثريا استهلت ذات أنواء
وإن تبسم فيك النور من جدل ... سقاك من كل غيم كل بكاء
حياك بالوارف المعهود منك فكم ... لنا بظلك من أهوى وأهواء
وكم نزلنا مقيلا منك ما حمى الـ ... ـهجير إذ حيث لا مرأى لحرباء
تظل من فيئك الفضفاض فى ظلل ... من الغمام يقينا كل ضراء
ياطبة بدواء القيظ عالمة ... أنت الشفاء من الرمضا لذى الداء
لاصوح الدهر منك الزهر وانبجست ... عليك كل هتون الودق سوداء
عصابة للشرب أموا روض زاهرة ... تعزى لأكرم أخوال وآباء

خمائل الروض منشاها ومرضعها ... ضرع النميرين من نيل وأنواء

فاستمهدت دوجها المخضل وافترشت ... نجم الربا ورقت عرشا على الماء

قريرة العين بالأواء باردة الـ ... ـقلب الذى لم تنله غير سراء

مقيل ندمان بل مغنى حمائم بل ... كناس آرام بل أفناء درماء

لها مطارف ظل سجسج فمصيـ ... ـفها تعادل فيه طيب مشتاء

قديمة العده هزتها الصبا فصبت ... فهى العجوز تهادى هدى مرهاء

وصوت بلبلها الراقى ذرى غصن ... فى حلة من دمقس الريح دكناء

كقرع ناقوس ديرى على شرف ... مسبح فى ظلام الليل دعاء

خلية حين أحنيت الضلوع على ... نار لشجوى بها لأحب لمياء

تهكمت بى فلم تحنى أضالعها ... على الهواء وأحنتها على الماء

بديعة الحسن قد فاز الجناس لها ... من المعانى بأفنان وأفياء

وقام عنها لسان الدهر ينشدنا ... للهو كم أرج ما بين أرجاء

كم صفق الموج من أزهارها طربا ... فنقطته ببيضاء وصفراء

وكم طربت لما أبدته من ملح ... يصبو لها كل ذى عقل وآراء

وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى ... فصرت فى كل حال منهما الطائى

كأنها من جنان الخلد قد كملت ... حسنا وحسبك من خضراء لفاء

كأن أغصانها اللدن الرشاق إذا ... همزن أفنانها أعطاف وطفاء

كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الـ ... ـدكناء قرص على أعكان سمراء

كأنها فوق دعص الموج إذ سفحت هضـــابه ســـفح واد رب أقـناء
مالت على النهر إذ جاش الخرير به كـــأنهـــا أذن مـــالت لإصـغـــاء
كـــأنما النهـــر مـــرآة وقـد عـلقت عليـــه تدهش فى حـــسن ولألاء
ذو شـاطئ راق غب القطر فهـو على نـهـــــــر الأبـلة يـزرى أى إزراء
كـــأنـه عند تفـــريك النســـيم له فـرند ســيف نضـتـه كف جـلاء
كنه حـين يهـدى زرقـة وصـفـــا رقراق عـين بوجه الأرض شـهلاء
إذ شدوت حـمامـات الأراك على أغـصـانهـا فـترينا رقص هيـفـاء
من كل ورقـاء فى الأفنان صادحـة بين الحـدائـق فى فـيـحـاء زهراء
ورق تـغنـت بجـنات رقـين علـى عـيـدانـهـا فـاله فى مـغنى وغناء
باكـرتهـا فى ســراة من أصـاحـبنا لا ينطوون عـلى حـقـد وشـــجناء
تداعـبـوا بمعـانـى شـعـرهم فـأروا ود الأحـبـــة فى ألـفـاظ أعـــداء
من كل شيخ مجون فى شباب فتى قـرى المجـــون بقلب غـيـر نساء

القيراطى من قصيدة:

لله ليـل كـــالنهـــار قـطعـــتـــه بالوصـل ا أخـشى به مـــا يرهب
وركـبت منه إلى التـصـابى أدهمـا من قـبل أن يبـدو لـصبح أشـهب
أيام لا مـــاء الخـــدود يـشـــوبه كـدر ولا يخـشى عـــذار أشنب
كم فى مـجال اللهو لى مـن جولة أضـحت ترقص بالسمـاع وتطرب

وأقمت للندمان سوق خلاعة ... يجبى المجون إلى فيه ويجلب

وذكرت فى عليا دمشق معشرا ... أم الزمان بمثلهم لا تنجب

قوم بحسن صفاتهم وفعالهم ... قد جاء يعتذر الزمان المذنب

أشتاق فى وادى دمشق معهدا ... كل الجمال إلى حماه ينسب

ما فيه إلا روضة أو جوسق ... أو جدول أو بلبل أو ربرب

وكأن ذاك النهر فيه معصم ... بيد النسيم منقش ومكتب

وإذا تكسير ماؤها أبصرته ... فى الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت ... بغنائّا من غاب عنه المطرب

فالورق تشدو والنسيم مشبب ... والنهر يسقى والحدائق تشرب

وحكت بقلبى من عسال جنة ... فيها لأرباب الخلاعة ملعب

ولكم طربت على السماع بجنكها ... وغدا بربوتها اللسان يشبب

سيدى أبو الفضل بن وفا من أبيات:

وللكؤوس ابتسام بعد قهقهة ... وللغيوم بكاء بعد تقطيب

فى روضة قد تهادتها الصبا دولا ... ورشقتها بأنواع الترانيب

طلاسم العطف من أغصانها حكمت ... فلا قبول إليها غير مجلوب

تحكمت نسمات الروض فابتدعت ... تسلسل الماء فى دور الدواليب

والطير تهتف والأغصان مائلة ... بكل زوج بهيج الحسن مخطوب

كأنما قضب البانات إذ خطرت ... عرائس زهيت بالحسن والطيب

ابن قلاقس:

صرت وجبين الجو بالطل يرشح ... وثوب الغوادى بالبروق موشح
فقابلت من أسماطها لزهر تجتلى ... وعاينت من أمراطها الزهر ينفح
بحيث الربا تخضل والدوح ينثنى ... ودمع الحيا ينهل والطير تصدح
وفى طى أبراد النسيم خميلة ... بأعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك فى مسرى العواطف عارض ... مدامعه فى وجنة الروض تسفح
وتورى به كف الصبا زند بارق ... شرارته فى فحمة الليل تقدح
تفرس منه البدر فى متن أشقر ... تلاعب عطفيه النسيم فيرمح
على حين أوراق الصبا الغض نضرة ... وورق التصابى بالصبابة تفصح

وقال أيضًا:

لا تثن عطفك إن الروض قد جيدا ... ما عطل القطر من نواره جيدا
إذا تبسم ثغر المزن عن يقق ... فانظر أفى وجنات الورد توريدا
وإن تناثر در منه فاجتله ... بمبسم الأقحوان الغض منضودا
واستنطق العود أو فاسمع غرائبه ... من ساجع لحنه يسترقص العودا
يشدو وينظر أعطافا منمقة ... كأنه آخذ عنها الأغاريدا
حلت عرى النوم عن أجفان ساهرة ... رد الهوى هدبها بالنجم معقودا
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها ... فاذكرتنى موسى والجلاميدا
يا ثعلب الفجر لا سرحان أوله ... عند الثريا فقد صادفت عنقودا

الصفى الحلى:

ورد الربيع فمرحبا بوروده ... وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه ... وأنيق مائسه ووشى برده
فصل إذا افتخر الزمان فإنه ... إنسان مقلته وبيت قصيده
يغنى المزاج عن العلاج نسيمه ... باللطف عند هبوبه وركوده
والورد فى أعلى الغصون كأنه ... ملك تحف به سراة جنوده
والياسمين كعاشق قد شفه ... جور الحبيب بهجره وصدوده
والنرجس الغض الجنى كأنه ... طرف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد فى السماء مآثما ... والأرض فى عرس الزمان وعيده
ندبت فشق لها الشقيق جيوبه ... وأزرق سوسنها للطم خدوده
والغيم يحكى الماء فى جريانه ... والماء يحكى الغيم فى تجعيده

وقال ابن عبد الظاهر:

وبطحاء فى واد يروقك روضها ... ولا سيما إن جاء غيث مبكر
بها فاض نهر من لجين كأنه ... صفائح أضحت بالنجوم تسمر
كأن حصاه إذا بدا منه أبيض ... واحمر دمع فى خدود يثر
وإلا فبرد بالطلال مسهم ... وإلا فطرس بالتجعد يسطر
وما لاح فى جنبيه نبت وإنما ... تبدى عذار منه فى الخد أخضر

وكم غـــازلتـــه للـغـــزالة مـــقلة تسـارق أوراق الـغـصـون فـتنظر
وتبـصـر منه كـل حـسن فـينبـرى حـيـاء لديه وجـهـهـا وهو أصـفـر
إذا فـاخـــرته الريـح ولت عليـلة يأذيال كـــثـبـــان الربا تتـعـــثـر
به الفـضل يبدو والربيع وكم غـدا به الروض يحيى وهو لا شك جـعفر

ابن نباتة مضمنًا من أبيات:

خـليـلـى كم روض نـزلـنـا فنـاؤه وفـيـــه ربيع للنزيـل وجـعـــفـر
وفـــارقـتـــه والطيـــر صـافـــرة به وكم مـثلها فـارقـتهـا وهى تصفـر
إلى أعين بالمـاء نضـاخـة الصـفـا إذا سـد منهـا منخـر جـاش منخـر
ندامـــاى من خـــود وراح وقـينة ثلاث شخـوص كاعـبان ومعـصر
قـضيت لبـانات الشبـيبـة والصب وطولت حـــتى إن آنى أقـــصـــر

عبد الرحمن المهدوى:

وروض به أنـواع نور تـفـــــوقت حـــوى فـضـــة من نوره ونضـــارا
كـأن النخـيل المـائلات من الصـبـا خـرائد أسـبلن الـشـعـور سكارى
كأن جـفون النرجس الغض وسطه جـفـون محب بـالدموع حـيـارى
كـأن اخضـرار الآس شارب أمـرد كـــمـا نم بل حـــاكى لديه عـــذارا
كـــأن بهـار الروض صـب مـتـيم قـد اصفـر إذ ولى الحـبيب وسـارا
كأن الأقـاحى ثغر من شق مهـجتى وعـــذب قلبـى فى هواه وحـــارا

كـأن انتـشـار الطل فـيـه مـدامـعى ... على شـادن فى الـقلب أضـرم نارا

كـأن نـسـيم الريـح نشـر قــرنفل ... وأنفـاس مـسـك قـد أعـار عـذارا

فـلله أيـام قـطعـنـا بـقـــــربـه ... أدرنا به كـــاس الســرور فــدارا

ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المغربى وزير ابن عباد:

أدر الزجـاجـة فالنـسيم قـد انبـرى ... والنجم قد صـرف العنان عن السرى

والصبـح قـد أهدى لنا كـــافـوره ... لما اســـتـــرد الليـل منا الـعنبـرا

والروض كـالحسنى كـساه زهره ... وشـــيـــا وقلـده نداه جـــوهرا

أو كـــالـظلام زها بورد خـــدوده ... خـــجـــلا وتاه بآسـهن مـــعـذرا

روض كـان النهـر فـيـه مـعـصم ... ظاف أظل علـى بسـاط أخـضـرا

وتهـــزه ريح الصـبـــا فـتـــخـــاله ... سـيـف ابن عـبـاد يبـدد عـسكرا

بدر الدين الذهبى:

ترنح عطف البان فى الحلل الخضر ... وغنى بألحـان على عـوده القمـرى

وراقت أزاهيـر الحـدائق بالضـحى ... نواظر عن أحـداق نـوارها النضـر

وأشـرق خـد الورد يبـدى نضـارة ... وأشرق جـيد الغـصن فى لؤلؤ القطر

وبات سقيط الطل فى كل روضـة ... ينبـــه فى أرجـــائهـا نـاعس الزهر

وقـد غض طرف النرجس الغض من حيـا ... به والأقـاحى منه مـبـتـسم الثـغـر

وما ذهـبت شمس الأصـيل عشية ... إلى الغرب حتى أذهبت فضة النهر

وغنت قيان الطير فى كل أيكة ... وقد راق كحل الظل فى مقل الغدر

قيان كساها الخد ديباج وجهه ... صاغت لها الأحداق طوقا على نحر

أقامت لها دوح الأراك أرائكا ... وأرخت لها أوراق أستارها الخضر

وأمسى أصيل اليوم ملقى من الضنا ... على فرش الأزهار فى آخر العمر

بكته حمامات الأراك وشققت ... عليه الصبا أثواب روضاتها النضر

فكم من نحيب للحمائم بالضحى ... عليه وللأنواء من دمعة تجرى

الكرخى الحبار:

تنبه فقد نم النسيم على الزهر ... ودلت تغاريد الحمام على لفجر

تيقظ لساعات السرور إذا سخا ... بها الدهر واجهد أن تموت من السكر

وخذ صفوة الدنيا فإن نضارها ... يؤول إلى التكدير فى آخر العمر

إذا ما ثغور الزهر يوما تبسمت ... إليك يبشر فانتهز فرصة البشر

رعاك الله أيام جنينا ثمارها ... بأيدى المنى ما بين أوراقها الخضر

ليالى أعطينا الخلاعة حقها ... مزاحا وغلطنا بها نوب الدهر

خلعنا على اللذات أردية الهوى ... جهارا وسلمنا العقول إلى الخمر

ولاح على الحرباء فيم مزرد ... كما يلمع الفيروزج الغض بالدر

يحف فتبدو الشمس من فرجاته ... كما انحط جيب المرط عن غادة بكر

أنا لك إن لم تعمل الكاس بكرة ... إلى الليل بين العود والناى من عذر

يطوف علينا بالزجاجة غلمة ... مطاف بدور التم بالأنجم الزهر

وحـــوراء تلهـــينا بصـــوت كـــأنه بلوغ الغنى من بعد نازلة الفـــقر
إذا جـــست المثنى تخـــيلت أنهـــا تجس فؤادى أو تغير على صبرى

ابن الزين لبيكم:

سـقى الله دوحـــا كللتـه يـد القطر عقود الفرط الحسن تزهو على الدر
أتيـت له كـــيـــمـــا أنزه نـاظرى فجل همومى بـالمحاسن عن صدرى
ومالت به الأغصـان نحوى وسلمت وألقت على رأسى نثـارا من الزهر
ومـدت لأقـدامى نبـــات شـقـائق وآس وريحـــان تضـــوع بـالنشـــر
وشالت على رأسى الغصون عصائبا وماست بفرط الحسن فى الحلل الخضر
وغنت قـيان الطيـر والريح شببت وقد صفقت من فـرحة راحة النهر
وقـد رفـعت من فـوق رأسى قبـة من النور فيهـا الطير من طرب يقرى
وقد ظل كـالشاويش يزعق فـرحة أمامى بشجو من فصـاحته القمرى
وأصبح كالسلطان حقـا وحيثما الـ ـتفت رأيت الماء فى خدمتى يجرى

ابن نبيه وأجاد:

تبـسم ثغـر الزهر عـن شنب القطر ودب عـذار الطل فى وجـنة النهـر
فـإن رق واعـــتل النسـيم صـــبـابة إذا مـر فى تلك الرياض فعن عـذر
توسـوست الأغـصـان عند هبـوبه فمـا برئت إلا على رقـية القـمرى
يخـــــادعـنى الورد الجـنى وإنـنى بوجنة من أهواه قد حـرت فى أمرى
ويبـســم عن زهر الأقـاح بنـفـسج فـألثـمـه شـوقـا إلى لعس الثـغـر

الشيخ تقى الدين بن حجة سامحه الله بفضله وأجاد:

هواى لسفح القاسمية والجسر ... إذا هب تدر وإ ذلك من عذرى

وفقرى إلى رشق الرضاب الذى خلا ... من النهر خلى سائ الدمع فى نهر

ولى ثم بين المعهدين معاهد ... بها هدمت تلك المعاهد من صبرى

يروق امتداد الجسر والقصر فوقه ... فيحل طباق العيش بالمد والقصر

قد أصبحت تلك الجزيرة جنة ... ألم تنظروا الأنهار من تحتها تجرى

تفوق عيون الزهر بين شطوطها ... عيون المها بين الرصافة والجسر

وإن جزت فى الرمضاء بين غصونها ... جلبن الهوى من حيث لا أدرى ولا أدر

وعاص رجيب الصدر قد حر طائعا ... ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر

وقد أشبه الخنساء نوحا وأنة ... وهادمعه قد صار يجرى على صخر

فيا جيرة العاصى إذا ذقت ماءكم ... أهيم كأنى قد ثملت من السكر

ولولا بقايا طعمه فى مذاقتى ... لما ظهرت هذى الحلاوة من شعرى

وكم رام هذا البحر يشبه لطفه ... فقلت انزلوا بالله فى ساحل البجر

فآها على وادى حماة تأسفا ... خلافا لمن قد قال آها على مصر

فكم مر لى فيها خلاوة ليلة ... فكانت شبيه الخال فى وجنة العمر

وفى غيرها قد صرت أقضى لياليا ... تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وقال آخر :

أبدت يد الغيث سر الأرض للبشر ... فالأرض فى حلل من صنعة المطر
أما ترى الروض قد لاحت شقائقه ... تحكى خدود مها أدمين بالنظر
وقام نرجسه وهنا على قدم ... كأنه من بياض الصبح فى حذر
لا يطبق الزهر أجفانا على غمض ... ولا يمل من التسهيد والسهر
والياسمين كأقراط اللجين بدا ... فعطل الريح من نشر له عطر
كأنما برك النيلوفر ابتسمت ... عن اليواقيت والعقيان والدرر
كأنما زهر الخيرى حين بدا ... آثار مص غدت فى خد ذى خفر
كأن صفرة نوار البهار حكت ... صبا رمته صروف الدهر بالغير
وكم تبسم فيه النور من طرب ... فجاء يضحك عجبا من بكا المطر
كأن نارنجه إذ لاح متسقا ... نهود غيد بدت فى أحسن الصور
كأن أغصانه لما قطعن به ... صوالج نكست تهوى إلى أكر
وانظر إلى شجر الليمون حين زهت ... لما تضوع رياها على الشجر
تحكى حقاقا من الكافور قد صبغت ... بزعفران فراقت كلما بصر
كأنما المشمش اللوزى على قضب ... جلاجل التبر فى قضباه النضر
كأما الموز إذ هب النسيم به ... غيد تمايلن فى خضر من الأزر
كأن خارجه تبر وداخله ... قند مشوب بعذب بارد خصر
كأن ما اعوج من دوح النخيل به ... عجائز قد حناها الدهر من كبر

الصفى الحلى وهى من المفردات:

من نفحة الصور أم من نفحة الصور ... أحييت يا ريح ميتا غير مقبول

أم من شذا نسمة الفردوس حين سرت ... على بليل من الأزهار ممطور

أم روض عطرك أعدى عطر نفحته ... طى النسيم بطى منه منشور

والريح قد أطلقت فضل العنان به ... والغصن ما بين تقديم وتأخير

فى روضة نصبت أغصانها وغدا ... ذيل الصبا بين مرفوع ومجرور

والماء ما بين مصروف وممتنع ... والظل ما بين ممدود ومقصور

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها ... وماؤها مطلق فى زى مأسور

قد جمعت جمع تصحيح جوانبها ... والماء يجمع فيها جمع تكسير

والريح ترقم فى أمواجه شبكا ... والغيم يرسم أنواع التصاوير

والنرجس الغض لم تغضض نواظره ... فزهره بين منقض ومزرور

كأنه ذهب من فوق أعمدة ... من الزمرد فى أوراق كافور

والأقحوان زها بين البهار بها ... مثل الدراهم ما بين الدنانير

وزامر القوم يطوينا وينشرنا ... بالنفخ فى الناى لا بالنفخ فى الصور

وقد ترنم شاد صوته غرد ... كأنه ناطق من حلق شحرور

شاد أناامله ترضى الأنام له ... إذا شدا وأجاب اليم بالزير

ابن وكيع التنيسى:

فرش الفضاء بأحمر وبأصفر ... وبدت لنا حلل الربيع المزهر

حلل تعد إذا اجتهدت مقصر ... فى وصفها وتكون غير مقصر

هذى الرياض كأنهن عرائس ... يختلن بين تمايل وتبختر

فى جوهر فاق الجواهر قيمة ... لو أنه يبقى بقاء الجوهر

سر أسرته السحائب فى الثرى ... فأذاعه فأذاع أحسن منظر

زمن أغر فلو شربت بطيبه ... طيب الجنان لكان أطيب متجر

والسرو تثنيه الرياح لواعبا ... من فوق جدول مائه المتفجر

كالجند فى خضر الملابس حاولوا ... أمرا فبين مقلص ومشمر

زمن متى أبصرته وكففت عن ... خلع العذار بحسنه لم تعذر

وافى على أثر الشتاء كأنه ... إقبال جد بعد أمر مدبر

فكأن ذلك كان وجه مهدد ... وكأن هذا جاء وجه مبشر

ورد كوجنة كاعب قد موزحت ... فتراجعت خجلى بفرط تحير

فكأنما النارنج فى أغصانه ... أكر خرطن من العقيق الأحمر

وكأن زهر البأقلاء دراهم ... قد ضمخت أوساطها بالعنبر

والنرجس الريان بين رياضه ... يرنو بعين الباهت المتحبر

والجلنار يربك فى أثوابه ... نوعين بين مزعفر ومعصفر

ظافر الحداد:

هذا الربيع أنى بأحسن منظر ... يختال بين مدبج ومعصفر
فانهض إلى داعى السرور وخلنى ... مما يقال عذرت أم لم تعذر
واسرق بنا خلس الزمان مبادرا ... والدهر فى غفلاته لم يشعر
والروض تقلقه الصبا فتثير من ... أرجائه نفحات مسك أذفر
وكأن مصفر الأصيل خلاله ... ورس يذر على بساط أخضر
وبدا الهلال لليلتين كأنه ... فتر حوى تفاحة من عنبر
والماء يبدى للنسيم تملقا ... ويسير بين تدرج وتكسر
والليل يختلس الضياء كعصبة ... من آل حام خلف آل الأصفر

شمس الدين الكوفى:

روح الزمان هو الربيع فبكر ... وانهض إلى اللذات غير مفكر
هذا الربيع يبيع من لذاته ... أصناف ما تهوى فأين المشترى
فافرح به فلفرحه بقدومه ... رفل الشقائق فى القباء الأحمر
والكون بتهج وخفاق الصبا ... يحيى القلوب بنشره المتعطر
والغيم يبكى والأقاحى باسم ... لبكائه كتبسم المستبشر
والسر وإ عبث النسيم فهز أعـ ... ـطاف الغصون يميس ميس موقر
وكأنما القداح فستق فضة ... يهدى إليك أريج مسك أذفر

وكـــأنما المنثـــور فى ألوانه ... ألـوان ياقـــوت أنيق المنظر
وترى البهار كعاشق متخوف ... متشوق باد بوجه أصفر
وكأنما النارنج فى أغصانه الـ ... ـقنديل والأوراق شبه مسحر
وكأنما الخشخاش قوم جاءهم ... خبر يبشرهم بطيب المخبر
فثنوا ملابسهم لفرط سرورهم ... ى يخلعو فرحا بقول المخبر
فتعلقت أذيالهم بأكفهم ... وتعلقت أزياقها بالمنحر
والطل من فوق الرياض كأنه ... درر نثرن على بساط أخضر
وترى الربا بالنور بين متوج ... ومدملج ومخلخل ومسور
ورياضها بالزهر بين مقرطق ... ومطوق ومنطق ومدنر
والورد بين مضعف ومشتف ... ومكتف وملطف لم يهصر
والزهر بين مذهب ومفضض ... ومرصع ومدرهم ومدنر
والبسر بين مطيب وممسك ... ومعطر ومصندل ومعنبر
والورق بين مرجع وموجع ... ومفجع ومسجع فى منبر
ومغرد ومردد ومعدد ... ومبدد فى الخد ماء المحجر

ابن مرج الكحل الأندلسى:

قم فاغتبقها راحة ذهبية ... من راحتى أحوى المراشف أحور
وعشية قد كنت أرقب وعده ... سمحت به الأيام بعد تعذر

نلنا به آمالنا فى روضة ... تهدى لنا شقها شميم العنبر
والورق تشدو والأراكة تنثنى ... والشمس ترفل فى قميص أصفر
والنهر مصقول الأباطح والربا ... بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكان خضرة شطه ... سيف يسل على بساط أخضر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها ... إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ابن قلاقس:

سفحت عيون الغيم أدمع قطره ... فالروض يضحك عن مباسم زهره
وسرى النسيم بقهوة حبى بها ... دوحا لوت عطفيه راحة سكره
وانشق جيب الأفق عن متألق ... ينجاب تقطيب الظلام يبشره
وكأه ظن النجوم كواعبا ... فرمى لها بملاءة من فجره
ودعا بحى على الصبوح مومر ... حتم على الظرفاء طاعة أمره
غنى فهز قوام قسيس الدجى ... طربا فشق صداؤه عن صدره
وارتاع من ماء الصباح فشمرت ... أذيال حلته لفائض بحره
فاقذف شياطين الهموم بأنجم ... تثنى الخليع إلى السرور بأسره
بزجاجة حياك منها قيصر ... وكأنما هو فى جوانب قصره
ما ألبسته الراح ثوبا مذهبا ... إلا وقلده الحباب بدره
يسقيكها رشأ كان مذاقها ... من ريقه وحبابها من ثغره

وقال آخر :

وللتصابى فى الصبا صبابة ... ولهوى منا قلوب ونظر

لا يخطر الهم بنا إن خطرت ... حوادث الدهر بنامع من خطر

لله ذاك العيش والعصر الذى ... عاصرت فى أيامه عصر العصر

بروح من راح إلى مدامة ... يديرها من خده الخد عصر

هذا وكم من روضة باكرتها ... مع فتية مثل المصابيح غرر

كأنما طيب الحديث بيننا ... وطيب أيام مضت مثل السحر

كأنما نرجسها نواظر ... ترنو وقد أرقها طول السهر

كأنما الورد خدود لطمت ... فى يوم توديع محب لسفر

كأنما البنفسج الغض حكى ... قرص محب فى خدود أو أثر

كأنما شقيقها مطارف ... قد ظفرت فيها من المسك وبر

كأنما السوسن فى اختلاطه ... شيب على ذاك الشباب قد شهر

كأنما النارنج فى أفنائه ... نار لمن ينظرها تبدى شرر

كأنما أترجها وصائف ... أو مدنف حلف غرام وفكر

كأنما الطير على أفنائها ... ستائر ليس لها منها ستر

كأنما ناعورة غنت لنا ... معدد يبكى على إلف هجر

كأنما غدرانها صوارم ... والموج فيها مثل تكسير الشعر

كأنما السواق فى صفيره ... بلابل تزعق فى أعلى الشجر

ومن يجتهد فى أن بالأرض بقعة ... تشاكلها قل أنت مجتهد مخطى

وصوب حديثى مائها وهوائها ... فإن أحاديث الصحيحين ما تخطى

بمعصمها إن دار ملوى سوارها ... فما الشام بالخلخال أو مصر بالقرط

تنظم بالشطين در ثمارها ... عقودا لها العاصى رأيناه كالسمط

وترخى علينا للغصون ذوائبا ... يسرحها كف النسيم بلا مشط

ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجًا ... وراح بنقش النبت يمشى على بسط

لوينا خلاخيل النواعير فالتوت ... وأبدت لنا وردا على ساقة البسط

سقى سفحها إ قل دمعى سحابة ... مطيبة بالدمع منهلة النقط

ويا أسطر النبت التى قد تسلسلت ... بصفحتها لا زلت واضحة الخط

ولا زال ذاك الخط بالطل معجما ... ومن شكل أنواع الأزاهر فى ضبط

لو بت عنانى فى هواها عن اللوى ... وهمت بها لا بالمحصب والسقط

ولذ عناق الفقر لى بفنائها ... وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط

منازل أحبابى ومنبت شعبتى ... وأوطان أوطارى بها ورضى سخطى

نعمت بها دهرا ولكن سلبته ... برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى

ومذ شط عنى شكلها وتباعدت ... جرى مدمعى نهرا على ذلك الشط

وقد جاء شرط البين أنى أغيب عن ... حماها لقد أدمى فؤادى بالشرط

وحط على الدهر عمدا وشالنى ... إلى غيرها صبرا على الشيل والحط

وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها ... منظمة لكن قضى الدهر بالفرط

أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقد سار يمشى الهم نحوى بسرعة فيا ليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعا بى إلى ورا كأنى فى الديوان أكتب بالقبطى
وما ذاك إلا أن أيام فكرتى غدت بعد تسريح العلاء بلا مشط

سيدى أبو الفضل بن وفا قدس الله روحه:

ومن قائل والماء فى الروض وافر مديد وظل الكرم فى الروض وارف
زها الروض حسنا وازدهى فكأنما على الأرض ومن وشى السماء مطارف
جوامع اللذات يخطب حسنها على أنها للهو أيضًا مقاصف
حمائمها قراؤها وغصونها كراس وأوراق الغصون مصاحف
وبين غراسات الجنان تشاجر وبين طيور الأيك فيه تصانف
وبين غواديه بكا وتراحم وبين غصون البان فيه تعاطف

الصاحب كمال الدين بن نبيه:

الزهر بين متوج ومشنف والأرض بين مدبج ومفوق
والغصن غناه الحمام فهزه طربا وحياه الغمام بقرقف
والظل يسبح فى الغدير كأنه صدأ يلوح على حسام مرهف
قس باسماء الأرض تعلم أنها بكواكب الأزهار أحسن زخرف
أحداق نرجسها كخد شقيقها مبهوتة لجماله لم تطرف

كـأنما حـسن السـمـاء حلة ... قـد نسجت فيـهـا زفانين الصـور
كـأنما البـدر وقـد لاح لـنا ... بعض مـرآة من غـلاف قـد ظهـر
كـأنما الشـمع حكى مـا بيننا ... وجـه مـحب وله الحب هـجـر
كـأنما الـراح إذا مـا نزلـت ... جسم مـن التبر إلى الكـاس انحدر
كـأنما الـكاسـات فى مـجلسنا ... كـواكـب تهـوى وفى الجـو أخـر
كـأنما حس قنانينا حكى ... مـقـهـقـا يضـحـك من شىء نظر
كـأنما العـود حكى مـتـرجـمـا ... لـسـانه يـنـطق عـن كل وتـر
كـأنما المـزمـار فى ترجـيـعـه ... عـصـابة تتلو المزاميـر سـحـر
كـأنما طـبـولنا إذ قـرعت ... أجـراس أجمـال يسـيـرون سحـر
كـأمـا الشـيـز حكى صـبـاحـه ... ضـفـادع تصرخ فـى ضوء القـمـر
كـأنما طيب ليـال سلفت ... من صـفو ذاك العـيش لمح بالبصـر
جـاد لنـا الدهر بـهـا تكـلفًـا ... ومن طبـاع الدهر صـفـو وكـدر

ظافر الحداد وأجاد:

من لـى بدهر كـأن لى بوصـاله ... سـمـحـا ووعـدى عنده مـنجـوز
والعـيش مـخـضـر الجناب أنيـقـه ... ولا وجـه اللـذات فـيـه بروز
والروض فى حلـل النبـات كـأنما ... فـرشت عليـه دمـالج وخـروز
والماء يبـدو فى الخـليج كـأنه ... أيم لسـرعـة سـيـره مـحـفـوز

والـزهر يـوهم نـاظريـه كـــأنمـا ظهـــرت به فـوق الريـاض كنوز
فـأقـاحـه ورق مـنصـور الندى در ونـور بـهـــــاره إبـريـز
والروض فـيـــه تغـازل وتمـايل وترسـل وتشـــاغـل ولغـــوز
والطيـر فـيـها بالـغصـون تصـارح وتصـــايـح وتفـــاصح ورمـــوز
وكـأنما القـمـرى ينشـد مـصـرعـا من كل بـيت والحـمـام يجـيـز
وكـــأنما الدولاب يرمـــز كلمـــا غنت وأصـوات الضـفـادع شيـز

عفيف الدين التلمسانى:

نادم عـــيـــون الـنرجس بخـــدود ورد الأكـــؤس
واســـتـــجل بكر مـدامـة مـعـشـوقـة للأنـفس
من فـــوق بسط بنفـــسج مـــرقـــومـــة بالسـندس
خلعـت خليـعـا واغـتـدت بجـديد حـسن تـكتـسى
لاعـــــيش إلا بـالمدا مـــة والنديم الأكـــيس
ومـــغـــازلات نواظـر نـعـس وإن لـم تـنـعـس
مـن كـل ظـبـى نـافـــــر مـسـتـوحش مـسـتـأنس
بعـــد الوصـــال ويـدعى نسـيـــان ذاك ومـا نـسى

الشيخ تقى الدين بن حجة سامحه الله:

بوادى حـماة الشـام عن أيمن الشط وحـقك تطوى شقـة الهم بالبـسط
بلاد إذا مـا ذقت كـوثر مـائهـا أهيم كـأنى قـد ثملت باسـفنط

والطل فى زهر الأقاح كأنه ظلم ترقرق فى ثنايا مرشف
راق الزمان وراق كاس مدامنا ورضاب ساقينا الأغن الأهيف
فمزجت ذاك بهذه وشربتها ولثمته وضممته بتلطف
وجنيت من وجناته لما استحى وردا بغير مراشفى لم يقطف
ورنا إلى بطرفه فكأنما أهدى اسقام لمدنف من مدنف
بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين تكرم وتعفف

فخر الترك أيدمر المحيوى:

الروض مقتبل الشبيبة مونق خضل يكاد غضاره يتدفق
نثر الندى فيه لآلئ عقده والزهر منه متوج وممنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى فغدت كمائم نوره تتفتق
والغصن مياس القوام كأنه نشوان يصبح فى النعيم ويغبق
والطير ينطق معربا عن شجوه فيكاد يفهم منه ذاك المنطق
غردا يغنى للغصون فتنثنى طربا جيوب الطل منه تشقق
والنهر لما راح منه مسلسل لا يستطيع لرقص ظل يصفق
فتمل أيام الربيع فإنها ريحانة الزمن التى تستنشق

الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى:

أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى أبدا إليك بكله يتشوق
اشتاق منك منازلا لم أنسها إنى وقلبى فى ربوعك موثق

أنى اتجهت رأيت دوحا ماؤه ... متسلسل يعلو عليه جوسق

والريح تكتب والجداول أسطر ... خط له نسخ الربيع محقق

والطير يقرا والنسيم مردد ... والغصن يرقص والغدير يضفق

ومعاطف الأغصان هزتها الصبا ... طربا فذا عار وهذا مورق

وكأن زهر اللوز أحداق إلى الـ ... ـزوراء من خلل الغصون تحدق

وكأن أشجار الرياض سرادق ... فى ظلها من كل لون نمرق

والورد بالألوان يجلو منظرا ... ونسيمه عطر كمسك يعبق

فبلابل منها تهيج بلابلا ... وكذاك أثواب الشقيق تشقق

وهزاره يصبو إلى شحروره ... ويجاوب القمرى فيه مطوق

وكأنما ف كل عود صادح ... غرد حلا مرموزه والمطلق

والورق فى الأوراق يشبه شجوها ... شجوى وأين من الخلى الموثق

تتلو على الأغصان أخبار الهوى ... فيكاد ساكت كل شىء ينطق

يا سائرا والريح تعثر دونه ... والبرق يبسم إذ به يتألق

إن جئت من وادى دمشق منازلا ... لى نحوها حتى الممات تشوق

بالجبهة الغراء والنهر الذى ... يزهو به القصر المنيف الأليق

ورأيت ذاك الجامع الفرد الذى ... فى الأرض طرا مثله لا يخلق

قل للفتى عبد الرحيم بأنى ... أبدا بحسن وداده أتحقق

إن كتموا عرضتموا بتشوق ... وحياتكم إنى إليكم أشوق

ذو الوزارتين أبو الوليد محمد بن عبد الله بن زيدون:

إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا ... والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله ... كأنما رق لى فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم ... كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت ... بتنا لها حين نام الدهر سراقا
لهو بها يستميل العين من زهر ... حال الندا فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقى ... بكت لما بى فجال الدمع رقراقا
ورد تألق فى ضاحى منابته ... فازداد منه الضحى فى العين إشراقا
سرى بنافحة نيلوفر عبق ... وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا ... إليك لم يعد عنها الصدر إن ضاقا
لو كان وفى المنا فى جمعنا بكمو ... لكان من أكرم الأيام أخلاقا

محيى الدين بن قرناص:

وقف القضيب من الصبابة مطرقا ... حتى أضر به الهوى فتعلقا
وأصابه مثل التوسوس بالصبا ... فغدا عليه عزاره يتلو القرى
وسرى النسيم إلى الحدائق خلسة ... حتى أحس به الحمام فصفقا
فرض الهموم إذا جمحن بروضة ... رقت ورق بها شراب روقا
وامزج لنا الخمر العتيق فإنه ... تبر وأجوده الذى قد عتقا

والشمس قد ألقت طرازا مذهبا من فوق نهر مثل كم أزرقا

المولى الفاضل شهاب الدين الحجازى من أبيات:

يا ليلة غراء قد جمعت لنا شملا على بها الزمان تصدقا
فى روضة فيها النسيم مشبب والورق تشدو والغمام لنا سقا
عند الصباح رأيت نما ما بدا مع حمرة فى الروض قلت هى الشقا
ومراقبا من نرجس قد راعنى ومن البنفسج لى عدوا أزرقا

أبو عمرو العلقمى الغزى:

إلى المدام ولو قمنا على الحدق فى غرة الصبح أو فى ظلمة الغسق
اليوم أول آذار تمل به لم يبق من لذة الدنيا سوى الرمق
أما ترى الأفق قد مد الحجاب من الـ ـغيم الرقيق وقلب البرق فى خفق
والروض يضحك فى أفنائه عجبا والطير فوق الغصون الخضر والورق
كأنما الغصن إذ هب النسيم به حيران حمل أشواقا فلم يطق
والخمر تجلى علينا فى الكؤوس كما نظمت فى السلك حبات على سق
من كف ظبى غرير الطرف مكتحل بالغنج أحوى مليح الخلق والخلق
كأنما عقربا صدغيه قد عقلا خوفا على خده المعشوق بالحلق

ابن قلاقس:

الحق بنفسج فجرى وردتى شفق ... كافورة الصبح فتت مسكة الغسق
قد عطل الأفق من أسماط أنجمه ... فاعقد لخمرك قينا حلية الأفق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح ... وخل كاسك نجما عند مغتبق
واقسم لكل زمان ما يليق به ... فإن للزند حليا ليس للعنق
هب النسيم وهب الريم فاشتركا ... فى نكهة كنسيم الروضة العبق
واسترقصتنى كاسترقاص حاملها ... مخضرة الورق فى مخضرة الورق
فظلت بالكاس أغنى الناس كلهم ... فالخمر من عسجد والكاس من ورق
يسعى بها رشأ عيناه مذ رمقت ... لم يبق فى ولا فيها سوى الرمق
حبابها وأحاديثى ومبسمه ... ثلاثة ملها من لؤلؤ نسق
حتى إذا أخذت منا بسورتها ... مآخذ النوم من أجفان ذى أرق
ركبت فيها بحارا من عجائبها ... إنى سلمت وما أدرى من الغرق

الصفى الحلى:

فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق ... بدت فهيجت الورقاء فى الورق
أم صارم الشرق لما لاح مختصبا ... كما بدا السيف محمرا من العلق
ومالت القضب إذ مر النسيم بها ... سكرى كما نبه الوسنان من أرق
والغيم قد نشرت فى الجو بردته ... سترا تمد حواشيه على الأفق

والسحب تبكى وثغر البرق مبتسم ... والطير تسجع من تيه ومن شبق

فالطير فى طرب والسحب فى حرب ... والماء فى هرب والغصن فى قلق

وكلل الظل أوراق الغصون ضحى ... كما تكلل خد الخود بالعرق

وأطلع الطير فيها سجع منطقه ... ما بين مختلف منها ومتفق

والطل يسرق بين الظل خطوته ... وللمياه دبيب غير مسترق

وقد بدا الورد مفترا مباسمه ... والنرجس الغض فيها ساهى الحدق

من أحمر ساطع أو أخضر نضر ... أو أصفر فاقع أو أبيض يقق

وفاح من أرج الأزهار طيب شذا ... نشر تعطر منه كل منتشق

كان ذكر رسول الله مر بها ... فاكسبت أرجا من نشره العبق

ابن وكيع التنيسى:

يوم أتاك بوجهه المتهلل ... ناهيك من يوم أغر محجل

خلع الغمام على اخضرار سمائه ... خلعا فبين ممسك ومصندل

وعلا على الأشجار قطر سمائها ... فدت لعين الناظر المتأمل

تحكى قباب زبرجد قد كللت ... بمنظم من لؤلؤ ومفصل

وأاك زهر البا قلاء كأنه ... يرنو إليك بطرف أغيد أكحل

والرد يخجل كل نور طالع ... فتراه منتقبا بحمرة مخجل

وحكى بياض الطل فى كافوره ... وجه الخريدة فى الخمار الصندل

وتغردت أطياره فحكت لنا ... نغمات معبد فى النقيل الأول

من كل صافية الصفير إذا دعت أغنتك عن صبح هناك وجلجل
وكأنما الدنيا عروس أقبلت في كل أنواع الملابس تنجلي

السراج الوراق:

وجر خطيب الرعد ذيل سواده وأمسك من سيف البروق بقائم
وأسمع من لا كاد يسمع وعظه فأول ما شقت جيوب الغمائم
وأضحك دمع الغيث من زهر الربا ثغور الأقاحي من ضفاه الكمائم
وفوق جنى الورد طل كأنه دموع الأغاني في الخدود النواعم
وغضت عيون النرجس الغض فانبرت صبا أيقظت أنفاسها كل نائم
نسيم بأسرار الرياض فحبذا نسيم مشت ما بيننا بالمنائم
ويا حبذا نهر أبان ضميره لعينك سرا لم يبت عند كاتم
جلت صد الأقذاء عن متنه الصبا كما قد أجاد القين صفحة صارم
ومال إليه الغصن ريان ناعما بغلة ظمآن إلى الماء هاشم
فإن قيل تصفيق الغدير لرقصه فقل ومثير الرقص شدو الحمائم
ولما رأين النهر راح مسلسلا عقدن من الأطواق مثل التمائم

وقال أيضًا:

وليلة زارت والثريا كأنها نظاما وحسنا عقدها وابتسامها
وحيت فأحيت ما أمات صدودها وردت فرد الروح في سلامها

وكم ليلة سامرت فيها نجومها كأنى راع ضل عنه سوامها

كأن الدرارى والهلال ودارة حوته وقد زان الثريا التئامها

حببا طفا من فوق زورق فضة بكف فتاة طاف بالراح جامها

كأن نجوما فى المجرة خرد سوق رماها فى الغدير رخامها

كأن رياضا قد تسلسل ماؤها فشقت أقاحيها وشاق خزامها

كان سنا الجوزاء إكليل جوهر أشاءت لآليه وراق انتظامها

كان له النسرين فى الجو غلمة رماة رمى ذا دون هذا سهامها

كان سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

كان الدجى هيجاء حرب نجومه أسنتها والبرق فيها حسامها

كان النجوم الهاويات فوارس تساقط ما بين الأسنة هامها

كان سنا المريخ شعلة فارس تلوح على بعد ويخفى ضرامها

كان السهى صب سها نحو إلفه يراعى الليالى جفنه لا ينامها

كان خفوق البرق قلب متيم رأى بلدة الأحباب أقوى مقامها

كان ثريا أفقه فى انبساطها يمين كريم لا يخاف انضمامها

ابن قلاقس:

يا مرسل الرمح الصقيل سنانه امسك فليس اليوم يوم طعان

هاتيك شمس الراح يسطع نورها من خلف سحب أبارق وقنانى

وهلال شـوال يقـول مـصـدقـا بيـدى غصبت النون من رمضـان
لا تسـقنيـها مـن محـاجـر نرجس حـسـبى التى بـأنامل الوسـنان
فـادارها ممزوجـة قـد خـالطت باليـاسـمين شـقـائق النعـمـان
والورق فى الأوراق قد هتفت على عـذب الغـصون بأعـذب الألحـان
فكأن أوراق الغـصـون ستـائر وكـان أصـوات الطـيـور أغـانى

سعد الدين بن عربى:

وحـديقـة للـزهر أصبح أرضـهـا وسـمـاؤها للنـخل والرمـان
سحبت بها السحب الذيول وقلصت فـيـهـا ذيول مـلابس الأغـصـان
أهدى لـنا الجـو النـدا لما انثـنت تثنى عليـه بـألسن السـوسـان
وافـتـر ثغـر أقـاحـهـا متبـسـمـا إذ دغـدغـتـه أنامل الريـحـان
قرص الحيا خـدى بنفسـجهـا فلم خـجلت خـدود شقـائق النعـمـان
وحـدائق المـنثـور قـد نظمـت بهـا ككتـيـبـة ذهبـيـة الصـلبـان
خطرت بهـا ريح الشمـال مريضـة مـرضـا تكقـل صـحـة الأبدان
والماء يسـبح فى خـلال مروجـهـا كـالسـيف يـرعـد فى يمين جـبـان
شـرب القـضـيب على غناء هزاره فـأمـاله بتـرجع الأغـصـان

الأمير حسام الدين عيسى بن سنجر الحاجرى:

حلـف الربيع بـقـده الفـتـان وتحـرش الأغـصـان بالأغـصـان
وببـهـجـة الـزهر الأنيق إذا سـرت أنفـاسـه مـسـكيـة الأردان

وبصفرة المنثور منه وحمرة لـ ـورد الجنى وخضرة الريحان

وترنم الأطيار تحسب أنها أصوات شاد مطرب الألحان

وترقرق الماء القراح على حصى كالدر والياقوت والمرجان

لأمتعن أخا الصبابة والهوى منى بأطيب عيشة وزمان

أنا بهجة الأيام تعرف قيمتى جذلان حاز خلائق الخلان

أخذت عليه يد الصبابة موثقا أن لا يزال مشمر الأردان

الله أكبر ما ألذ لشارب زمن الربيع وصحبة الأخوان

أأبيت من رشف المدامة عاطلا لا والصبوح أليه الندمان

سيدى أبو الفضل بن وفا قدس الله روحه:

نسمة الروض وأطيار الجنان اعلما حبى بما قد تعلمان

يا خليلى وقد أشقى الهوى مهجتى هل أنتما لى مسعدان

أخبراه أننى منفرد مغرم صب أعانى ما أعان

ذكراه صفو أيام مضت حيث صفت صبغ اللهو دنان

حيث نجم الزهر من أفق الربا والطلا والكاس فيه نيران

حيث أفلاك الهوى دائرة ولدى الشمس بذا البدر قران

ولثغر الزهر فى دمع الحيا فرح أوجبه فرط جنان

أسماء الزهر أم زهر السما فى جنان الروض أم روض الجنان

والشذا بين الغصون شائع متهاد من مكان لمكان

فكان الطيـــــر لما أنشـــــدت فى ربا الروض مغـان فى معـان
وكـــان الروض جنات وقـــد زخرفت والورد فيها كالدهان
والربا مـــخـــضلة يانعـــة مـــشـــتـــهى وجنى الجنات دان
وترى ألفـــاظه مـــشـــرقـــة ولعـمـرى إن فـيـهـا لمعـان
يا زمـان اللهو من أرض الحمى أنت رب العيش لولا أنت فان
يا أخـا اللهـو ألا عش وانتعش بزمان الصفو من صفو الزمان
واصطبح ثم اغتبق ثم اصطبح لا تخف نلت من الدهر أمـــان
عـــاجل اللذات فى أوقـــاتهـــا واغنم الفـــرصـــة من كل أوان
لا تبع إلا مـــعـــــاطاة يد وتوكل وعلى الله الضـــمـــان

الشيخ تقى الدين بن حجة سامحه الله تعالى:

خلل التعلل فى حمى يبرين فهوى حماة هو الذى يبرينى
واطع ولا تذكر مع العاصى حمى ما فى وراء النهر ما يكفينى
أنا سائل والنهر فيها لذتى ومع افـــتـــقـــارى نظرة تغنينى
وجناس ذاك السكر يحلو للورى تحـــريقـــه ويروق فى تشـــرين
والنبت يضبطه بشكل معرب لما يزيد الطيـــــر فى التلحين
والغصن يحكى النون فى ميلانه وخـــيـــاله فى الماء كـــالتنوين
قالوا أتسلوا عن ثمار شطوطها فـــأجبت لا والتين والزيتـــون

بالاثمين على شريعتها لكم ... فى ذاك دينكمو ولى أنادينى
قلنا على الأعراف من ريحانها ... قصص أتت بتناسخ البشنين
وبسط شرعا يا لنا كم شرعت ... أعوادها وتشققت بالين
لكن إذا اشتبكت رأيت الظل قد ... ألقته مضطربا شبيه طعين
وخيال ضوء الشمس دور فوقه ... فحكى فم الطعنات فى التكوين
وعيونها كم قال هدب نباتها ... ما للنباتى مثل سرح عيون
فمتى يقابلنى الزمان بجيرة ... وأرى قرار العين فى جبرين

ابن نبيه:

نديمى ماس الآس فى سندسيه ... وأظهر ما أخفى لنا من حليه
ولاح بجيد الغصن والصبح طالع ... من الطل عقد ماس فى جوهريه
وقد ضاع نشر الزهر حين وشى به ... تنفس ندى النديم نديه
وألقى الضحى فى فضة النهر تبره ... فأثرى الثرى بالنور من عسجديه
هو السيف إن أصداه ظل غصونه ... تولى شعاع الشمس صقل صديه
وساق له وجه وكاس تقارنا ... فسقاك شمسيا على قمريه
وأطلع شمس الكاس عند ابتكارها ... وشعشع نجم الكاس عند عشيه
سقى الراح مثل الراح من ريق ثغره ... وأين حباب الراح من لؤلؤيه
حددت لما فيه الثمانين قبلة ... لأنى شممت الخمر من عنبريه

الشيخ أبو الفتوح نصر بن قلاقس:

كم بات يجلو قهوة صهباء ... تكسو المدبر حلة حمراء

شمس لها من الدنان مترق ... كالنار إلا أنها لا تحرق

كأننا من ضوء تلك النار ... نشرب فى بيت من النضار

ومقعد لا يملك القياما ... ولا يطيق دهره الكلاما

يحيل ما نودعه من السبج ... من غير ما خوف عليه وحرج

أنفاسه تخالا عقيقا ... أحسن بذاك منظرا أنيقا

أقول إذ يلوح للعيون ... يا حبذا الكانون فى كانون

نودعه قلائدا من الفحم ... مثل سهاد الليل حين يدلهم

لأنها والنار فيها تلهب ... لناظريها آبنوس مذهب

ما أانا للعاذل بالمطيع ... وقد تبدى زمن الربيع

أما ترى الأطيار فى ترنم ... تهيج شوق المستهام المغرم

والجو ما أحسنه وأجمله ... لما تبدى فى حلل مصندلة

والأرض إذ تفتر عن أزهارها ... تستوقف الطرف على نوارها

من نرجس أكرم به من نرجس ... كأنه العيون ما لم تنعس

أو فأكف صورت من برد ... قد حملت مداهنا من عسجد

كأنما الطل على الورد الندى ... دمع جرى على خدود الخرد

أخجله النرجس لما أن نظر ... فاحمر من فرط الحياء والخفر

الشيخ عفيف الدين التلمسانى:

نامت عيون النرجس بخدود ورد الأكؤوس
فاستجل بكر مدامة معشوقة للأنفس
من فوق بسط بنفسج مرقومة بالسندس
خلعت خليعا واعتنت بجديد حسن تكيس
لا عيش إلا بالمدا مة والنديم إلا كيس
ومغيزلات نواظر نعس وإ لم تنعس
من كل ظبى نافر مستوحش مستأنس
يعد الوصال ويدعى نسيان ذاك وما نسى

ابن وكيع التنيسى:

أهدى إلينا زمن الربيع فجاء فصلا حسن الجميع
لبرده وحسن المقدار كم يكشف حرهما الإكثار
عدلى فى زمانه حتى اعتدل وجمل التفصيل منه والجمل
أنهاره من أحسن النهار فى غاية الإشفاق والأسفار
تضحك فيه الشمس من غير عجب كأنها فى الأفق جام من ذهب
وليله مستلطف النسيم مقوم فى أحسن التقويم
لبدره فضل على البدور فى حسن إشراق وفرط نور

كجامة البلور فى صفاها أتعبت الخراز فى تقاها

كأنه إذا بدت من نحره جواره عند طلوع فجره

رومية حلتها زرقاء فى الجيد منها درة بيضاء

فيه تظل الطير فى ترنم حاذقة باللحن لم تعلم

غناؤه وعجمه لا يفهمه سامعة وهو على ذا يغرمه

هذا وفيه للرياض منظر ينشى القرا من سره ما يضمر

فيه ضروب للنبات الغض يحكى لباس الخيل يوم العرض

من نرجس أبيض كالثغور كأنها مخازن الكافور

وروضة تزهر من بنفسج كأنها أرض من الفيروزج

قد لبست غلالة زرقاء وكابدت بلبسها السماء

تبصرها لتأكل أولادها قد لبست من خزها حدادها

يضحك فيها زهر الشقيق كأنه مداهن العقيق

مضمنات قطعا من السبج فاحمرت بين احمرار ودعج

كأنما المحمر فى المودة منه إذا لاح عيون الرمدة

أما ترى أترجه ما أحسنه تحتال لى غلائل مبينة

وارم بعينيك إلى البهار فإنه من أحسن النوار

وانظر إلى الخشخاش إن أردتا يحكى كرات ظوهرت كيمختا

كأنه مداهن من عسجد قد سمرت من قصب الزبرجد

فـــانظر إلـى اللهـــو ولا تخـلف فـلـسـت فـى ذلـك بـالمـنـصـف
واشـرب عـقارا طال فـينا كـونهـا يصـفـر من خـوف المزاج لونهـا

الشيخ جمال الدين بن نباتة وتسمى الطردية وتسمى أيضًا فرائد السلوك فى مصايد الملوك:

أثنى شـذا الروض على فضل السحب وامـتلئت بالوشـى أرداف الكتب
مـا بين روض مـسـفـر اللثـام وزهر يـضـحك فـى الأكـمـام
إن كـانت الأرض لـهـا ذخـائر فـهى لـعـمـرى هـذه الأزاهر
قـد بسطتـهـا راحـة الغـمـائم بسـط الدنـانيـر عـلى الـدراهم
أحـسن بـوجـه الزمن الـوسـيم تعـرف فـيـه نضـرة النـعـيم
وحـبـذا وادى حـمـاة الرحب حيث زهـى العيش به والـعـشب
أرض الـسـنـاء والـهـنـاء والمرح والأمن واليـمـن ورايات الفـرح
ذات النواعـيـر سـقـاة الشـرب وأمـهـات عـصـفـه والأب
تعلـمت نوح الحـمـام المـهـتف أيام كـانت ذات فـرع أهـيف
فـكلـهـا من الحـنين قلـب وكـيف لا والماء فـيـهـا صب
لله ذاك السـفح والوادى الغـرد والماء مـعـسـول الرضـاب مطرد
يصـبـو بها الرائى ويهفـو السـامع ويحـمـد العـاصى فكيـف الطائع
إذا نـظـرت للـربـا والـنهـر فـارو عن الـربيع أو عن جـعـفـر
لا عـيـب إلا أن مـغـناها الهـنى ينسى أخـا الغـربة حب الوطن

محاسن تلهى العيون والفكر ... ربيع روضات وشحرور صفر
أمام كل منزل بستان ... وبين كل قرية ميدان
أما رأيت الورق فى الأوراق ... جاذبة القلوب بالأطواق
فبادر اللذة يا فلان ... واغنم متى أمكك الزمان
ولا تقل مشتى ولا مصيف ... فكل أوقات الهنا شريف
وكل زمان يتقضى بالجذل ... زمان عيش كلما دار اعتدل

زجل للصاحب كمال الدين بن نبيه وزير الشام والعراق:

مطلع الزمان سعد ومواتى ... والحبيب حلو رشيق
والربيع بساط وأخضر ... والشراب صافى مروق
دور والنسيم سحرا تنفس ... عن عبير زو مسك أدفر
والغصون تحكى الندامى ... من سلاف الغيم تسكر
والغدير يمد معصم ... ينجلى فى نقش أخضر
والهزار يعمل طرايق ... فى الغنا مزمور ومطلق
دور هات يا ساقى الحميا ... إن نجم اللي غرب
من يكون البدر ساقيه ... كيف لا يشرب ويطرب
أنت والأوتار والكاس ... للهموم دوا مجرب
لا تخاف الصبح يهجم ... دع يجى ويركب أبلق

دور ذا المليح فى الجنة سيدو وأنا مسكين فى جهنم

آه على قبلة فى جيدو أو خديدو والفميم

لو ترى حمرة خدودو وعذار ودا المنمنم

كان ترى ثوب أطلس أحمر معدنى بأخضر معتق

دور يا نديم اسمع نصيحة لا تنم ما دمت تمكن

الصباح مثله فى الكاس ما ترى ما أبهج وما أحسن

والشقيق حمرا وصفرا كنور ايات شاه أرمن

ذا ملك تخال جمالو ما خلق وليس يخلق

دور ورشيقة المعاطف راتو بين السناجق

والغبار بحال غمائم والسيوف بحال بوارق

وضيا جبينو يرمى بشعاع على اخلايق

زعقت حرام زوجى والنبى غدا انطلق

* * *

الخاتمة

وهى خاتمة الخير إن شاء الله تعالى فى التوبة والإخلاص وذم الخمر والتنفيرعنها.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون».

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب من شربها حرمها فى الآخرة».

وفى الحديث المرفوع: جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر.

وفى كتاب المبهج: الخمر مصباح السرور ولكنه مفتاح الشرور.

وقال بعضهم:

تركت النبيذ وشرابه وصرت صديقا لمن عابه

شراب يضل سبيل الهدى ويفتح للشر أبوابه

وقال عيسى عليه السلام: الهوى رأس كل خطيئة والنساء حبالة الشيطان والخمر داعية كل سوء.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا أربعين صباحا». وروى عنه ﷺ أنه قال: «من مات مدمن الخمر مات كعابد الأوثان وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال، قال: عصارة أهل النار القيح والدم».

وسأل رجل شريكا عن النبيذ فقال حلال، قال قليله خير أم كثيره، قال بل قليله. قال الرجل ما رأيت خيرا إلا وكثيره خير من قليله إلا هذا.

وقيل لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول السرور إلى القلب، قال نعم ولكنه بئس الرسول يبعث إلى القلب فيذهب إلى الرأس.

وقيل لأعرابى لم لا تشرب الخمر فقال لا أشرب ما يشرب عقلى.

وقيل لبعضهم لم لا تشرب، فقال عقلى لا أقدر على جمعه فكيف أفرقه، وقيل الخمر يذهب العقل والدين والدرهم، وسئل بعض اللطفاء عن الشراب فقال تضييع مال وعقل وزيادة جنون.

ويحكى أن نصيبًا كان يجالس عبد الملك بن مروان ويواكله وينادمه فألزمه ذات ليلة بالشرب معه فقال يا أمير المؤمنين لست لك بقرابة ولا لى عليك يد بيضاء ولا أنا ذو حسب ونسب، وإنما أنا عبد أسود قربنى منك أدبى وعقلى فكيف أرضى أن تسلبنى أدبى وعقلى اللذان قربانى منك، فتعجبت من كلامه وأعفاه.

ويقال أن عروة بن الزبير لما تآكلت رجله وخيف منها السرابة إلى النفس أمره بعض الأطباء أن يستعمل شيئًا يزيل عقله غير الخمر كالبنج ونحوه حتى يغيب عن الحس فلا يدر بألم القطع، فقال عروة ما يمكن أحدا أن يستعمل شيئًا يذهب عقله الذى عرف به ربه، فقيل إنهم صبروا عليه إلى أن أحرم بالصلاة، وكان فى ذلك الوقت من الغافلين عن الإحساس مشتغلا بخشوعه وتضرعه لربه فعمدوا إليه وقطعوا رجله وهو لا يحس بشىء.

وذهب بعض الحكماء إلى أنه لو أوصى لأقل الناس عقلا فإنه يصرف

إلى شارب الخمر لأنه يذهب إلى المال فيتلفه فيما يزيل عقله الذى هو أشرف ما فيه.

ومن الحكايات اللطيفة أن بعض الملوك قصد التفرج على المجانين، فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمائل الفطنة فدنا منه وسأله عن حاله فأجابه بألطف عبارة وأحسن إشارة، وقال إنه كان له اشتغال فى مبادى أمره، ثم إنه عرض له عارض أفضى به إلى هذه الحالة، فسأله الملك عن مسائل فأجاب عنها جميعها بأحسن جواب، فأعجبه عجبًا شديدًا.

ثم إن المجنون قال للملك قد سألتنى عن أشياء وأجبتك وإنى سائلك سؤالا واحدا. قال وما هو، قال المجنون متى يجد النائم لذة النون، ففكر الملك ساعة، ثم قال يجد اللذة حالة نومه، فقال المجنون حالة النوم ليس له إحساس. قال الملك قبل الدخول فى النوم، فقال المجنون كيف توجد لذة النوم قبل وجوده. قال الملك بعد النوم، قال كيف توجد لذته وقد انقضى، فتحير الملك وزاد إعجابه، وقال لعمرى إن هذا لأعقل من عقلاء كثير، فأولى أن يكون نديمى فى هذا اليوم، وأمر أن ينصب له تخت بإزاء شباك المجنون، ثم استدعى بالشراب فأحضر وتناول الكأس وشرب ثم ملأ وناول المجنون فقال أيها الملك أنت تشرب هذا لتصير مثلى، وأنا أشربه لأصير مثل من، فاتعظ الملك من كلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته، وقيل إن هذا الملك هو الملك الأشرف شاه أرمن ممدوح الصاحب كمال الدين بن نبيه، فلما اتفق له ذلك ذهب إلى خمارة كانت بالشام فأمر بهدمها وبناها جامعًا، وهو المعروف الآن بجامع التوبة.

والأحاديث والآثار الدالة على تحريمها أكثر من أن تذكر وأشهر من أن تحصر وأجمع المسلمون على تحريمها إذا تقرر ذلك يجب على كل مسلم التوبة منها ومن كل ذنب، وشرط التوبة الندم والإقلاع والعزم على أن لا يعود فمتى فقد واحد من هذه الثلاثة لم تصح توبته وكان كاذبا على الله تعالى، فعلى هذا كثير من الجهلاء يتوبون فى أول الثلاثة أشهر، أو فى أول رمضان ويقولون فلان رفع السكين وليس قصده إلا تلك الأيام بخصوصها، وأنه إذا جاء العيد انعكف على ما كا عليه وربما صار يعدها يوما يوما لثقلها عليه، ثم لم يكتف بذلك حتى يتوهم أنه تائب وأنه يثاب على فعله، وبعضهم يتوب إذا حصل له مرض وبعضهم إذا حصل له ضيق أو إفلاس فلعمرى إن هذا عين المعصية، ونعوذ بالله منهذا الاعتقاد السيء فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وإذا مات كان عاصيًا مدمنًا على المنكر، وإن لم يفعله فى تلك الأيام فالأعمال بالنيات وقد سئل ﷺ عن المدمن أهو الذى لا يستفيق من شربها قال لا ولكن هو الذى إذا وجدها شربها ولو بعد حين، وممن رفع السكين فى أول الثلاثة أشهر ابن نبيه فقال:

عفت المدام ولو ذابت من الذهب ... وقلدت بنجوم الدر لا الحبب

ولم أقل ليد الساقى ووجنته ... جل المؤلف بين الماء واللهب

وملت عن لحن شاد عودت يده ... قود القلوب بارسان من الطرب

يا مجلس اللهو لا أصبو إليك ولا ... شخص النديم إلى قلبى بمقترب

ويا رقيب الذى أهواه نم فلقد ... أمنت منى الذى تخشاه فى رجب

شهر كريم كأن الله ألبسه ... خلائق العلم ابن السادة النجب

وممن تاب عند نزول المرض به على بن الشهاب فكتب إليه أبو الحسين الجزار:

خلنى من ملامة الوام ... وأدر فى الدجى كؤوس المدام
إنما العيش أن يوافيك فى الليـ ... ـل بشمس النهار بدر التمام
حيها بالقبول منك كما حيتـ ... ـك والق ابتسامها بابتسام
واسقنيها صرفا ونزه خلال الـ ... ـماء عن أن تشوبه بحرام
خل ربعا عفى وباكر ربيعا ... أنتجته مقدمات الغمام
إنما العمر هجعة ومسرا ... ت الليالى تمر كالأحلام
تب عن التوبة التى سولتها ... لك فى النفس كثرة الأوهام
وانسها طول شهر شعبان واذكر ... ها إذا ما استهل شهر الصيام
وتناول رطلا عتيقا من الخمـ ... ـر عقيب الغداء والحمام
واجعل النقل لثم خد وثغر ... من هلال أبداه غصن قوام
صفة تشهد الجماعة إنى ... لست أرضى فيها ابن سينا غلامى

فما فرغ من قراءتها حتى أحضر الشراب وشرب وكتب ابن سناء الملك إلى الحكيم ابن نوفا وقد بلغه أنه تاب:

سمعت حديثا ليتنى لا سمعته ... فعندى منه مقعد ومقيم
بأن الحكيم الآن قد هجر الطلا ... وتاب فقلنا ما الحكيم حكيم

أتترك شمس الراح وهى منيرة ... وتترك وجه البدر وهو وسيم
وكم من يد عند الحكيم لكاسه ... غدتولها حق عليه عظيم
أنامت له من لا ينام وربما ... أقامت له ما لا يكاد يقوم
وذلك إنعام قضى بنعيمه ... ومن جحد الأنعام فهو لئيم
فإن قال إنى قد سمعت بشربها ... فقد يعشقون الحفن وهو سقيم
وطمننى إبليس حين عتبته ... بأن قال هذا الأمر ليس يدوم
فإن تسئلونى بالحكيم فإننى ... خبير بأدواء الحكيم عليم
إذا ما جنى وجه المصيف فإننى ... بتحليل ناموس الحكيم زعيم
على أنه كان قد تاب مخلصا ... وخاف عقاب الله وهو رحيم
فتوبته من سوء ظن بربه ... تعالى وإلا فالكريم كريم

وتاب بعضهم عن الشرب فهجره أخوانه وجفاه عامة من كان يعاشره فعاد إلى الشرب وأنشد:

قد كنت تبت عن الشراب فلم أجد ... أحدا من الإخوان ألا يشرب
أقسمت لا أدع الشراب ولا أرى ... إلا إلى أصحابه أتقرب
ما من أخ لى منذ كانت توبتى ... إلا تجنبنى كأنى أجرب
ويقول بعضهم لبعض تائب ... إن كنت تبت فقد رجعت فجربوا

وكتب ابن تميم إلى بعض أصحابه وقد تاب عن الشراب:

تركت شرب الحميا غير مفتكر فيها وفى شربها اللذات والطرب
فارجع فقد أسبل الراووق مدمعه وجدا عليك وقلب الكاس يلتهب

فلما رجع إلى قوله كتب إلى أيضًا:

إن كان قد أسبل الراووق مدمعه شوقا إليك وقلب الكاس يضطرم
فاليوم أعينه من فرط فرحته تفيض دمعًا وثغر الكاس مبتسم

وممن تاب توبة إفلاس الشريف بن الهبارية:

يقول أب سعيد إذ رآنى عفيفًا منذ عام ما شربت
على يد أى شيخ تبت قل لى فقلت على يد الإفلاس تبت

وقال الصاحب بهاء الدين زهير:

قالوا فلان قد غدا تائبا واليوم قد صلى مع الناس
قلت متى كان وأنى له وكيف ينسى لذة الكاس
أمس بهذا العين أبصرته سكران بن الورد والآس
ورحت عن توبته سائلا وجدتها توبة إفلاس

وممن أخلص التوبة للقاضى محيى الدين بن قرناص بقوله:

سلوت عن الأحبة والمدام ... وملت عن التهتك والهيام
وصلمت الأمور إلى إلهى ... وودعت الغواية بالسلام
وملت إلى اكتساب ثواب ربى ... وقد ما طال غرمى بالغرام
وما أنا بعدها معطى عنانى ... للهوى كى أرى بيدى زمامى
أبعد الشيب وهو أخو سلو ... يليق بأن أميل إلى الغرام
فشربى الراح نقص بعد هذا ... ولو من راحتى بدر التمام

وقال آخر:

فكم أجريت فى ميدان لهو ... خيول هوى وقد ضربت خيامى
وكم قبلت وردا من خدود ... وكم عانقت غصنا من قوام
سأولى الكاس تعبيسًا وصدا ... وإن جاءت تقابل بابتسام
فهذا قد حوى خمرا حلالا ... غدا يغنى عن الخمر الحرام
وذا حلوى متى ما ذقت منه ... وذا مر على مر الدوام
عزمت على الرجوع على المياه ... ومثلى من يدوم على اعتزام

وتلطف البديع الهمدانى بقوله:

وفتيان كأقران الثريا ... على طرف من العيش الرخيم
يساقيهم من الغزلان أحوى ... كأن بطرفه داء الظليم
تنادوا للمدام وعنقونى ... وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن ... أشيعكم إلى نار الجحيم

ومن عيوب الخمر أن صاحبها يتكرهها عند شربه ويكلح عند شمه، ويغتم إن فضل من قدحه، ويكثر غنا ساقيه ويمزجه ليتغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعين على طيب فمه بعده بالنقل، ويلقى بعده من الجبار ما يذهب عنه كل لذة.

قال بعض الحكماء لولا أن الخمر يعلم علته لأوصى وصيته وممن ذم الخمر من العرب رجل من قريش فقال:

ومن يقرع الكاس اللئيمة سنه ... فلابد يوما أن يسىء ويجهلا

ولم أر مشروبا أشد سفاهة ... وأوضع للأشراف منها وأجملا

ويحكى أن المتنبى كان يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة ذات ليلة فشرب عنده فلما انتشى وأخذ منه السكر فرطت منه فارطة وذلك أنه مازح غلاما بديع الجمال، ثم لم يتمالك أن قبله ثم ندم لوقته فقام وانصرف وبقى أياما لا يحضر مجلسه فأكثر طلبه حتى حضر، فأمره بالشرب فامتنع وأقسم لا يشرب خمرا أبدا، فأنشأ يقول:

رأيت المدامة غلابة ... تهيج للمرء أشواقه

تسىء من المرء أخلاقه ... ولكن تحسن أخلاقه

وبالأمس مت بها موتة ... وهل يشتهى الموت من ذاقه

وقال الأمير مجير الدين بن تميم:

لما عذلت خليلى فى المدام وفى ... فعل الحرام فما أصغى وما ازدجرا

علمت حين رآنى سمعه رجبا ... إن المحرم يبقى بعده صفرا

وقال النصير الحمامى:

أقـــول لـلكـاس إذ تـبـــدى بكـف أحـــوى أغن أحـــور

أخـربت بـيـتى وبيت غـيـرى وأصـل ذا كـــعـــبك المـدور

وتلطف فخر الترك أيدمر المحيوى بقوله:

الـروض مـــاس وهذه أزهـاره مـتـجـاذبا فـى أيكه أطيـاره

فاشرب على وجه الحبيب وغن لى هذا الحـــبـــيب وهذه آثـاره

وأبدع من قال:

قـــد هجـــرت الـراح حـــتى ليس لى فـيـــهـــا نصـــيب

وعـلى الـراووق حـــســـبى طول مـــا عـــشت الصلب

وتلطف من قال:

تـقـــــــول أثـوابـى لـمـا رأت شـيـبى وتكفـينى علـى صـدرى

بالله يـا شـيخ أمـــا تســـتـــحى إلى مـتى تصـبـغنى خـمـرى

ولنحسن الختام بقول الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى:

يا رب إن العـبـد عـبـد مـذنب وهو فـقـيـر مـا له عنك غنى

قـد قطـف اللذات فى شـبـابه بجـهلـه فـاغـفـر له مـا قـد جنى

* * *

قال جامعه عفا الله عنه

هذا آخر ما انتقيته منكلام الشعراء ووقع عليه اختيارى، وأنا أستغفر الله مما جرى به القلم فى غير طاعة البـارى، فلقد كنت احترزت من الدخول فى هذا الباب الخطير والهول العظيم، إلى أن قدر الله به فقلت ذلك تقدير العزيز العليم، فملت مـع النفس واقتبسـت من مشكاة الأدباء وبدائع خمـرياتهم ما يسبى العـقول فلم دع لأحد فيـهم لمعة واقتطفت من بائع زهرياتهم مـا يحيى القلوب ولكنه كالياسمين لا يساوى جمعه:

على أننى راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا

والله تعـالى يقينا السـوء يوم الحسـاب ويتجـاوز عمـا سطره القلم فى صفحات الكتاب.

وليس اعتقاد المرء ما خط كفه كما إن حاكى الكفر ليس بكافر

ويسقينا من خـمر الجنة ممزوجا من أنهاره بماء غير آسن، ويقـيل عثراتنا من تعاظم الذنوب ولكن:

إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقيته سهل

قال جـامعه: وكان الفـراغ من تبييـضه وتحريره فى يوم الثـلاثاء المبارك سلخ شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

انتهى الكتاب بعون الله وحسن توفيقه.